تفسير سورة النساء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾

وَبَثَّ مِنْهُمَا: فرق ونشر منهما بالتناسل .

وَالأَرْحَامَ: واتقوا الأرحام أن تقطعوها .

رَقِيباً: مطلعا أو حافظا لأعمالكم .

حُوباً كَبِيراً: إثما أو ذنبا أو ظلما عظيما.

أَلاَّ تُقْسِطُوا: أن لا تعدلوا ، ولا تنصفوا.

مَا طَابَ: ما أحل لكم .

وَرُبَاعَ: فتحرم الزيادة على أربع .

أَلاَّ تَعُولُوا: في النفقة وسائر الحقوق .

صَدُقَاتِهِنَّ: مهورهن .

نِحْلَةً: فريضة أو عطية بطيب نفس.

هَنِيئاً مَّرِيئاً: طيبا سائغا حميد المغبة.

البشر كلهم متساووْن في طبيعتهم وأصل نشأتهم ، لكونهم جميعاً من أبٍ واحدٍ وأمٍ واحدةٍ ومن ثم يجب أن يكون كل إنسانٍ محباً لأخيه الإنسان الآخر، وينظر إليه نظرته إلى نفسه ، وأن يتعايش الجميع أفراد عائلةٍ مشتركةٍ واحدةٍ في مناخٍ يسوده العدل والنصح والتكافل بين بعضهم البعض، وليست أهمية السلوك الحسن المتبادَل بين البشر، من وجهة النظر والأخلاقية وحدها، بل إنه قضية مصيرية بالنسبة إلى الإنسان ، ذاك لأن الله – عز وجل – رقيب على الناس أجمعين، ومحاسبهم يوم القيامة، وسيحدد مستقبلهم الأبدي في تلك الدار الآخرة طبقاً لأعمالهم في هذه الحياة الدنيا ، إذنْ فينبغي للمرء ألا يحسب قضية الإنسان أنها قضية الإنسان وحده، بل يحسبها قضية الله جل وعلا، وبالتالي يكون خائفاً أشد الخوف من مؤاخذة الله وبطْشه ، ويأخذ نفسه بممارسة العمل الذي سينجيه من الغضب الإلهي .

وقد جاء في الحديث القدسي أن الله سبحانه وتعالى قال: «الرحم منى ، من وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته» ويتضح من هذا أن الصلة بالله يتم اختبارها عبر الصلة بالعباد. وإنما الشخص الخائف من الله حقيقةً هو الذي يخاف الله تعالى فيما يتصل بتأْدية حقوق العباد ، والشخص المحب لله حقاً هو الذي يُبرهن على ذلك من خلال حبه للعباد ، وعلى أن هذا الأمر مطلوب رعايته في إطار الروابط الإنسانية العامة أيضاً؛ غير أن أهميته في إطار السلوك الحسن مع ذوي الأرحام وأولي القربى تتأكد وتزداد إلى حد أنه يحتلّ المرتبة الثانية بعد حق الله تبارك وتعالى .

ويشكل «اليتامى» الجزء الأضعف والأحوج إلى العون والرعاية في أي بناءٍ أسري أو كيانٍ اجتماعي ، التعامل مع اليتامى لذلك أصعب مادة لاختبار التقوى أو الخشية الإلهية؛ إذنْ فينبغي للمرء أن يتخذ من اليتامى موقفاً عملياً أقرب ما يكون إلى مقتضى العدل والنصح، وأضمن ما يكون لرعاية حقوقهم ، وإنه لذنب جد عظيمٍ أن يتم توزيع ممتلَكاتٍ مشتركةٍ ويستأثر المرء لنفسه بالأشياء الجيدة، ويترك الأشياء الرديئة لشريكه وفاءً بحقه من الناحية الشكلية !!

﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ
وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ
رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا
فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ
عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ
نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧
وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ
قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٨ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ
فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا
يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾

قِيَاماً: قوام معايشكم وصلاح أموركم .

وَابْتَلُوا اليَتَامَى: اختبروهم فى الاهتداء لحسن التصرف في أموالهم قبل البلوغ .

آنَسْتُم: علمتم وتبينتم .

رُشْداً: اهتداء لحسن التصرف في الأموال .

وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُوا: مبادرين كبرهم ورشدهم .

فَلْيَسْتَعْفِفْ: فليكف عن أكل أموالهم .

حَسِيباً: محاسبا لكم أو شهيدا

مَّفْرُوضاً: واجبا أو مقتطعا أو محدودا .

قَوْلاً سَدِيداً: جميلا أو صوابا وعدلا.

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً: سيدخلون نارا موقدة هائلة .

ليس المال من أجل التَرَف والتنعّم، ولا من أجل التكاثر والمباهاة ، إنما هو وسيلة تستقيم بها معيشة الإنسان على ظهر الأرض .

وكوْنُ المال «وسيلةً للحياة» ، يوضح لنا أنه لا يصح أبداً أن نتخذه هدفاً قائماً بذاته، كما يستلزم ذلك أن نكون حريصين غاية الحرص على صيانة المال من الضياع ، وإيصاله إلى صاحبه كاملاً غير منقوصٍ ، وإن عدم الاهتمام بتأدية المال إلى صاحبه على النحو المطلوب يعني الإِخْلاَل بذلك النظام الإلهي الذي قرره الله جل شأنه لتوصيل أسباب الرزق والمعيشة إلى عباده ، وبما أن «اليتيم» يشكل الجزء الأضعف في أي كيانٍ اجتماعي، كان الحفاظ على ماله، وتجنب كل أنواع الظلم والعدوان في التعامل معه مطلوباً وضرورياً، وأن يسجّل المرء كل ما يفعله مع اليتيم وما يدفعه إليه وفق مقتضى العدل، ثم يقيم عليه الشهود ، وذلك تفادياً من أية خصومةٍ أو تنازعٍ يُحتمل أن يقع في المجتمع فيما بعد، ويؤدي إلى ما لا تحمد عقباه
٤٤ وتبرئةً لذمته وإظهاراً لنزاهة يديْه أمام الناس .

وإذا تولى المرء أمر أحد الناس، أو شاركه في شأنٍ من شئون الحياة، فلْيكن تعاملُه معه ، علماً بأن الله مطلع على كل ما سيُباشره من بخسٍ أو يتعمّده من تقصيرٍ وإهْمالٍ ، وإن كان شريكه لا يتمكن من الاعتراض عليه، أو انتزاع حقه المغتصَب من يده، بسبب ضعْفه وقلة حيلته فلن ينجو من مؤاخذة الله وعذابه الشديد يوم القيامة .

وقد يُسَرُّ القوى بقدرته على اغتصاب حقوق الضعفاء في هذه الدنيا؛ غير أن المرء إذْ أكل المال الحرام فكأنما يملأ بطْنه ناراً ،٤ ومع أن هذا مما لا يُشَاهد عياناً في هذه الدنيا، ولكنه حقيقة سوف تنكشف في اليوم الآخر .

وإذا كان المرء قد مُنح حرية العمل والتصرف في هذه الحياة، إلا أنه لا يملك خياراً فيما يتصل بنتائج الأعمال، فالشخص الذي يرغب في النجاة بنفسه من سوء العاقبة والمصير، عليه ألا يُسيء إلى أحد من الناس، وينبغي للمرء أن يكون نافعاً لغيره، ويُعطي الآخرين مما عنده على حسب استطاعته، وإذا كان هناك من لا تسمح ظروفه بأن يُعطي الآخرين،فإن أقل ما يفرض عليه الإسلام في هذا الوضع هو ألا يتسبّب في إيذاء الناس بأي نوعٍ من الأذى الحسي أو المعنوي، فإذا تحدث إليهم فلْيقلْ قولاً سديداً وصادقاً أوْ ليلْتزم الصمْت.

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ
ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا
ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ
فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ
وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا (١١) ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ
لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ
وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ
ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ
كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ
مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً
مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢) تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٣)
وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ
مُّهِينٌ (١٤) ﴾

يُوصِيكُمُ الله: يأمركم ويفرض عليكم .

فَرِيضَةً: مفروضة عليكم .

كَلالَةً: ميتا لا ولد له ولا والد.

حُدُودُ الله: شرائعه وأحكامه المفروضة .

إن القوانين الوضعية كلها – سواء منها القديمة والحديثة – ما زالت تعاني من آفة، وهي

obeikandl.com

التي تتمثل في جنوحها إلى هذا الجانب من الجوانب العديدة للقضية أوْ ذاك ، أوْ انحيازها إلى هذه الطبقة من طبقات الناس أو تلك ، ففي العصر القبَلي القديم حُرمت البنت كلياً من أي حقٍ في الميراث، فقد كان الابن يستحوذ على الإرث كله ، ومردّ ذلك إلى ما كان يتمتع به الابن من الأهمية البالغة إذْ ذاك، حيث كانت القبيلة تنظر إليه بوصفه ذاباً عن حياضها،وحامياً لحماها من كل ما يتهدد كيانها أو مصالحها من الأخطار ، ولم تكن البنت تحتل هذه المكانة.

وظهر في العصر الحديث ردّ فعل على التقاليد والأعراف القديمة، حيث أُلغيت جميع الفوارق بين الذكور والإناث وتساوي الجميع في الحقوق والواجبات ، ولكن إذا كان المبدأ السابق القديم لا يقوم على العدل والنصفة، فإن المبدأ المعاصر الجديد لا يقوم على الواقع.

ولكن الأحكام والضوابط التي قررها الله ـ عز وجل ـ بهذا الخصوص، ليست الوسيلة الحقيقية الوحيدة لتحقيق العدالة الاجتماعية على صعيد الواقع فحسب،بل لها صلة عميقة بصميم الحياة الأخروية ؛ إذْ إن تأدية حقوق اليتامى، وتنفيذ وصايا الميت، وتوزيع الميراث على وارثيْه توزيعًا عادلاً، كل ذلك من الأمور التي يتوقف عليها مصير الإنسان في الآخرة .

والوصية الجائزة شرعاً تكون في ثلث التركة لا أكثر ، ولو كان ينوي شخص من خلال وصيته أن يحرم أحد الورثة من حقه في الميراث، فإنها جريمة منكرة يُحتمل أن تؤدي بصاحبها إلى النار ، فقد جاء في حديثٍ ما معناه: فلا يسعُ المرءَ بهذا الشأن إذنْ، إلا أن يأخذ نفسه باتباع إذا ارتكب إنسان ذنبا الحدود والضوابط الإلهية وحدها، دون أن يتبع الأهواء والرغبات الذاتية أو المصالح الأسرية .

﴿ وَٱلَّٰتِى يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِى ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ

ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا
﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ
قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾

بِجَهَالَةٍ: بسفه وكل من عصى جاهل .

إذا ارتكب إنسان ذنبا فلابد وأن يكون التعامل معه إذْ ذاك متفقاً وحدود الشريعة، إذْ ليس من الجائز أن يُدخل أحَدُ الناس في عداد المجرمين، ولا أن يُعامَل معاملة المجرمين، قبل الوفاء بالمقتضيات الشرعية اللازمة ، ومن أوّليات القانون: أن المتّهمَ بريء، حتى تثبت إدانته.

وكوْن أحد الناس مجرماً لا يعطي غيره حقاً مطلقاً للتعدي عليه، واتخاذ الإجراءات التعسفية الظالمة ضده ـ فالغاية من العقوبات إقامة العدل ـ ولن يمكن إقامة العدل أبداً والعدوان والتعسف .

وليست التوبة بأن تنطق بكلمة «التوبة»، وترددها مرةً وأخرى ، إنما هي عبارة عن سيطرة إحساسٍ شديدٍ بثقل خطيئتك ، ولو كان المرء مخلصاً في توبته، وأحس إحساساً عميقاً بخطيئته، فإن التوبة عندئذٍ تكون تجربةً قاسيةً وشديدة الوطأة عليه لدرجة أنها تصبح بمثابة تعذيب المرء نفسه بنفسه، وإذا كانت هذه الكيفية ناشئةً في قلب المرء عن خوفه من الله تعالى، فمن المؤكد أن الله سيعفو عنه ويغفر له ذنوبه كلها .

غير أنه لا قيمة عند الله لتوبة أولئك الذين بلغوا من الجرأة والطغيان والتمرد على الله إلى حدِ اقتراف المعاصي والمنكرات، ولا يُقلعون عنها بالرغم من صيحات التنبيه والإنذار المتكررة إلا إذا أشرفوا على الموت، أخذوا يتمتمون: «إننا تُبنا الآن!»، ولن تجدي التوبة فتيلاً عن أولئك الذين سيفيقون بعد فوات الأوان؛ إذْ يعترفون بخطاياهم في الآخرة عندما يروْن العذاب ماثلاً أمام أعْينهم، فيندمون، ولات ساعة مندم !

وحقيقة التوبة رجوع العبد وإنابته إلى ربه، ليتوب عليه ربه .

والتوبة كذلك للشخص الذي تورط في السوء، مندفعاً بدوافع وقتيةٍ لم يستطع التغلب عليها بدايةً، ثم لم يلبث حتى أشعرته محاسبته لنفسه ونقده الذاتي بخطيئته،فأقلع فوراً عن فعل السوء،واتجه ثانيةً بكل قلبه نحو طريق الخير والصلاح،وأخذ يمارس حياته طبقاً لأحكام الشريعة الإلهية ، ومثَل الشخص الذي يوفق للتوبة على هذا النحو،كمثل الذي يعود إلى منزله ثانياً عند المساء، بعد أن كان قد ضل طريقه في وقت الصباح .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ
لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ
فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ
ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ
أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ
بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم
مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلاً ﴿٢٢﴾ ﴾

كَرْهاً: مكرهين لهن ، أو مكرهات عليه .

وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ: لا تمسكوهن مضارة لهن .

بِفَاحِشَةٍ مُبيِّنة : النشوز وسوء الخلق أو الزنا .

بُهْتَاناً: باطلا وظلما .

أَفْضَى بَعْضُكُمْ: وصل بالوقاع أو الخلوة الصحيحة

مِّيثَاقاً غَلِيظاً: عهدا وثيقا .

مَقْتاً: مبغوضا مستحقرا جدا .

obeikandi.com

لا جرم أن ورثة الميت لهم الحق في توارث ما خلفه وراءه من مالٍ وضياعٍ ، ولكن ذلك لا يعني أن يعتبر الورثة زوجة الميت ميراثاً لهم؛ فيتصرفوا في أمرها على هواهم، إن المال شيء جامد مملوك، قابل للتحول بالتوريث من إنسانٍ إلى آخر ، غير أن الإنسان وجود حيّ، يملك حرية الإرادة والتصرف، وله الخيار كله أن يقرر مصيره بنفسه، ويتخذ لمستقبله أي قرارٍ شاء .

وإذا كانت المرأة يُعوِزها شيء من الناحية البدنية الجمالية أو المزاجية، فينبغي للمرء أن يتجاوز عنها ذلك، ويُتيح لها الفرصة لتقوم بتأدية دورها المأمُول في تكوين الأسرة وإسعادها، مستخدمةً ما وهبها الله من صفاتٍ وخصوصياتٍ أخرى ، فالمطلوب من المرء إذنْ أن يحاول الاستمرار في العلاقة الزوجية واستدامتها، ناسياً أو متناسياً كل ما هنالك من بواعث النفرة أو الكراهة الظاهرية .

إن سر تماسك أية أسرةٍ من الأسر ورقيها أن يعم أفرادها روح التسامح، حتى يتيح بعضهم لبعض فرصةً لإنماء محاسنه وإبرازها إبرازاً فعلياً، متجاوزاً عما يعْوزه أو يُوجد فيه من عيوبٍ ونقائص ، والذين يسلكون في هذه الدنيا مسلك الصبر والتسامح من أجل الله سبحانه وتعالى، إنما هم وحدهم أولئك الذين سيدخلون الجنة في الدار الآخرة.

وقد يكون المرء كارهاً لشريكة حياته، لأي سببٍ من الأسباب، ويعتزم الطلاق بدل أن يأخذ نفسه بالصبر والتحملّ، ويلجأ إلى المغالاة في بيان مآخذ زوجته وتضخيم عيوبها، تبريراً لموقفه السلبي ذاك ، وقد يُلصق بها أنواعاً من التهم لا أساس لها من الواقع، كما يتخذ خطواتٍ عنيفةً ضدها، حتى تتقدم بطلب الطلاق نجاةً بنفسها ، إن هذا كله نقض للعهد ، والعهد أمر مقدس عند الله جل شأنه لدرجة أنه لابد من الالتزام والوفاء به، حتى ولو كان ذلك بشكلٍ غير مكتوبٍ، تماماً كما يجب الالتزام والوفاء بالعهد المكتوب!!

ومبدأ «إلا ما قد سلف»- أي تجاوز عما حدث فيما مضى من الزمان - ليس خاصاً بشئون النكاح وحده بل مبدأ عام شامل .

ومع أن قوله تعالى : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝١٩﴾ قد ورد بشأن العلاقات الزوجية غير أنه يتضمن تعليماً عمومياً سامياً ، وقد اعتاد القرآن أن يُرشد إلى توجيهٍ كلي يشمل حياة الإنسان بشتى نواحيها، في معرض بيانه لأحكامٍ تتصل بقضيةٍ معينةٍ.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

وَرَبَائِبُكُمُ: بنات زوجاتكم من غيركم .

فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ: فلا إثم عليكم.

وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمْ: زوجاتهم .

وَالْمُحْصَنَاتُ: ذوات الأزواج .

مُحْصِنِينَ: أعفاء عن الحرام .

غير مسافحين: غير زانين .

أُجُورَهُنَّ: مهورهن .

طَوْلاً: غنى وسعة.

الْمُحْصَنَاتِ: الحرائر .

فَتَيَاتِكُمُ: إمائكم .

مُحْصَنَاتٍ: عفائف.

غَيْرَ مُسَافِحَات: غير مجاهرات بالزنا.

مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ: مصاحبات أصدقاء للزنا سرا .

خَشِيَ الْعَنَتَ: خاف الزنا. أو الإثم به .

إن الإنسان مجبول على نوازع ورغباتٍ فطريةٍ كثيرةٍ؛ منها الرغبة الجنسية التي يشعر بها كل من الذكر والأنثى نحو الآخر، ولما كانت الشريعة تضْبط كل النزعات والعواطف البشرية، وتوجهها الوجهة الإيجابية الصحيحة، فإنها رسمت كذلك حدوداً وضوابط أخلاقيةً لتسكين الرغبة الجنسية ، وبالنظر إلى وصايا الشريعة الإلهية، إلا شكل واحد لا ثاني له للممارسة الاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة، ألا وهو الذي يبرز إلى الوجود كميثاقٍ اجتماعيٍ جادٍّ .

ثم إنه لابد أن يتوافر جوّ مفعم بالسمو والقدسية يسود الحياة العائلية، بالإضافة إلى ضرورة إشباع الغرائز الجبلية وتلبية المطالب الفطرية ، ومن أجل التوصل إلى هذه الغاية فقد حرم الزواج ببعض المحارم من النسب والرضاعة والمصاهرة؛ تسامياً بالعلاقات القائمة بين الأقارب الأدنين فوق النزعات الشهوانية .

وليس مقياس عظمة الإنسان وعزته تلك الأشياء المرئيّة التي يقيس بها الناس عادةً مدى عظمة أحدهم وعزته، بل المقياس الحقيقي للعظمة هو الإيمان غير المرئى، ذلك الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى وحده، ومعنى ذلك أن كون أحد الناس عزيزاً أو غير عزيزٍ ليس من الأمور المعلومة لدى الإنسان ، وسوف يتم كشف القناع عن حقيقة الأمر في اليوم الآخر أمام محكمة الله العليا حيث تُبلى السرائر.

obeikandl.com

وإن هذا التصور الإسلامي لحقيقة أوضاع البشر وسرائرهم من شأنه أن ينتزع من الإنسان المؤمن الشعور بالاستعلاء؛ ذلك الشعور الذي يشكل المصدر الرئيسي لمعظم المفاسد والمساوئ الاجتماعية .

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾

سُنَنَ: طرائق ومناهج

بِالْبَاطِلِ: بما يخالف حكم الله تعالى .

ليس القرآن ببدْعٍ فيما دعا إليه من سنن الحياة وأساليب ممارستها؛ إذْ ما زال الله يبعث بها أنبياءه لتبليغها عنه إلى الناس كافةً في كل الأدْوار ، وقد كانت حياة الصالحين من عباد الله في كل العصور ترجمةً عمليةً لهذه السنن والأساليب ذاتها ، غير أنها لم تلبث أن ضاعت وتلاشت بسبب ضياع الكتب السماوية القديمة، ثم أنزلها الله تعالى على آخِر رسله – عليه الصلاة والسلام – بلسانٍ عربيٍ مبينٍ، وجعلها ((محفوظةً)) من الضياع والتلاشي إلى أبد الآبدين ، واليوم حينما تقوم أية طائفةٍ من الطوائف بصياغة حياتها العملية وفق هذه السنن والأساليب القرآنية، فإنها تنضم إلى تلك القافلة الأبدية التي تشتمل على أولئك الأبْرار الذين رُزقوا نصيباً لا بأس به من نفحات الرحمة والإلهية والذين ساروا في كل عصرٍ على ذلك الدرب الربّاني القويم الذي كان الله قد أنار معالمه لعباده الأوْفياء .

لا يكاد يقوم أحد عباد الله بعملية الإصلاح الاجتماعي وتطْهيْر البيئة من رواسب العهود السابقة، العادات القديمة، حتى يثور عليه عبيد التقاليد والعادات البالية؛إذْ يتعذر عليهم أن يختاروا طرقاً غير مألوفةٍ لممارسة الحياة، متخلّين عن طرقهم المألُوفة القديمة، وبالتالي فهم يناصبون العداء كل حركة إصلاحيةٍ ترمي إلى صرفهم عن الطرق التي ألْفَوْا عليها آباءهم السابقين،وطبقة رجال الدين التقليدي تحتل بدورها مكان الصدارة في مُهَاجَمة كل نداءٍ إلى الإصلاح،ويكون رد فعلها بإزاء ذلك أعْنف وأشد بالقياس إلى رد فعل الجماهير.

والواقع أن جانب الدين الداخلي عندما يطْرأ عليه الضعْف؛فإن الاهتمام كله يتركز تلقائياً على جانبه السطحيّ الخارجي؛حيث يبدأ الاشتغال بتفريع المسائل الجزئية وإثارة القضايا الهامشية،وفي نهاية المطاف يبرز إلى الوجود هيكل ظاهري شكلي سرعان ما يغالي الناس في التمسك به؛ظانين أنهم متمسكون بالدين الإلهي، ثم ينتهي الأمر بهذا الدين المزعوم إلى أن يتم عزْوه إلى كبار السلف المرموقين، ويكتسب القدسية على مر الزمن،حتى يعود دين الله الفطري شيئاً غريباً بين الناس،في حين يلوح لهم أن دينهم الاصطناعي هو المبني على الحق بعينه، وفي هذا الوضع لا تقوم حركة تتوخى إحياء الدين في صورته الأصلية ونقاوته الأُوْلى، إلا ويقف هؤلاء المقلدون الجامدون في وجْهها، ويُعْلنون عليها حرباً لا هوادة فيها ؛ ذلك لأنهم يرون فيها إبطالاً أوْ إلغاءً لمكانتهم الدينية.

والشريعة الإلهية- على سبيل المثال- قد نهت عن مجامعة المرأة في أيام الحيض وأباحت كل ما عدا ذلك من العلاقات الأخرى معها كالمعتاد ، ولكن اليهود تناولوا هذا الحكم الشرعي الميسور بزيادة أنواعٍ من القيود والالتزامات الدقيقة عليه؛حتى جعلوه مسألة معقدةً للغاية ، فقد زعموا أن ليس جماع المرأة الحائض فحسب ، بل مؤاكَلتها،وشرب الماء من يديها،والاجتماع بها في مجلسٍ واحدٍ،ولمسها باليد.. إلخ ، كل ذلك من الأمور المحظورة أو المضادة للتقوى، وهكذا صار الابْتعاد الكلي عن الحائضة بمثابة آيةٍ على كمال التقوى والورع ، فلما قام رسول الله ﷺ بإحياء الشريعة الإلهية الأصيلة هاج اليهود وماجوا؛إذْ تبدّى لهم أن الشيء الذي كانوا قد أسّسوا عليه بنيان ورعهم وتقواهم فُوجئ بهزةٍ ستعيده أثراً بعد عينٍ !

إن الذين يكون صَرْح تديّنهم قائماً على أساس ديانةٍ زائفةٍ مزوّرةٍ، فإنهم لا يلبثون أن يصبحوا أشد الناس عداوةً ومعارضةً للدعوة الهادفة إلى إحياء دين الله، وإعادته إلى صورته الأصيلة الناصعة، من خلال تطْهيره من كل الإضافات البشرية، لأن دعوةً كهذه تكون مرادفةً لانتزاع السيادة من أيديهم ولا أحد يرضى أبداً بأن تُنتزع السيادة من يَدَيْه، إلا من رحم ربك، وقليل ما هم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ

كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾

نُصْلِيهِ نَاراً: ندخله إياها ونحرقه بها

سَيِّـَٔاتِكُمْ: ذنوبكم الصغائر

مُّدْخَلاً كَرِيماً: مكانا حسنا شريفا وهو الجنة .

جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ: ورثة عصبة يرثون مما ترك .

وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أيمانكم : حالفتموهم ، وعاهدتموهم على التوارث ((وهو محرم عند الجمهور)) .

من وجوه انتقال المال من يد أحد الناس إلى يد غيره؛ أن يقوم الواحد بتوفير حاجات الشخص الآخر؛ فيطالبه بالعوض المالي عن جهده المبذول ، تلك هي التجارة ؛ والطريقة الصحيحة المشروعة لكسب المعاش، وأما الأموال التي يتم تحصيلها عن وجوه السرقة،والخيانة،والغش،والكذب،والرشوة، والربا، والقمار،وما شاكل ذلك،فإنها كلها أموال مكتسبة من الطرق اللامشروعة عند الله تعالى إنها أنواع مختلفة للنهب والسلب،والذين يتذرعون بوسائل النهب والسلب لكسب معيشتهم - مهما حالفهم النجاح والسعادة في هذه الدنيا،وتقلبوا في أعطاف العيش الناعم طيلة حياتهم - فإن مصيرهم النهائي المحتوم في الآخرة إلى عذاب النار .

وكذلك الشأن بالنسبة إلى نفس الإنسان ؛ إذْ لا يملك الخيار لقتْل شخصٍ ما أو إعْدامه سوى سلْطةٍ حكوميةٍ قائمةٍ فعلاً؛ لأنها تقوم باتخاذ الإجراءات القضائية اللازمة ضد المتّهم بعْد أن تثبت جريمته طبقاً للقانون الإلهي، وأما الشخص الذي يتصدى للقضاء على حياة

أحد الناس فيرتكب عملاً حرّمته الشريعة تحريماً قاطعاً، والذي قد أعد الله له عذاباً شديداً جزاءً على صنيْعه ذاك ، وأكبر الجرائم عند الله تعالى هي الظلم والعدوان؛ أي تجاوز الحدود الإلهية المرسومة، والاعتداء على أحدٍ بغير حقٍ ، والذين يجتنبون الظلم والعدوان في الحياة الدنيا، فإن الله سيُعاملهم معاملةً تكريميةً خاصةً فيعفو عن صغائر ذنوبهم، ويمحو كل ما قد صدر عنهم في الدنيا من خطايا وزلاّتٍ عاديةٍ .

إن أوضاع البشر وحظوظهم في الدنيا تتفاوت بين شخصٍ وآخر، فمنهم مَن رُزق مقداراً ضئيلاً من القوى البدنية والعقلية، ومنهم مَن أُوْتَى حظا أوْفر منها ، ومنهم مَن يُولد في بيْئةٍ صالحةٍ وظروف طيبةٍ، ومنهم من يُولد في بيْئةٍ فاسدةٍ وظروفٍ نكدةٍ،ومنهم مَن تتوافر لديه إمكانيات ووسائل فخمة، ومنهم مَن لا يمتلك غير أسبابٍ ووسائل عاديةٍ تافهةٍ للغاية .

وعندما يرى المرء أحداً سواه فوْقه، وأسعد منه حظاً وأحسن منه حالاً، فسرعان ما تستيقظ في نفسه مشاعر الحقد عليه ، الأمر الذي يؤدي إلى إيجاد جوٍّ مُترعٍ بالتحاسد والعداوة والشحناء، والصراع والاحتكاك الداخلي في كل شعب الحياة الاجتماعية، غير أن قياس المرء قدر نفسه هو أو غيره بمقياس هذه الأشياء ليس إلا حمقاً وسفاهةً، إنها كلها أشياء ذات أهميةٍ دنيويةٍ، وسينْتهي أمرها إلى الفناء والتلاشي في هذه الدنيا بالذات، إذْ لا دخل لها ولا عبرة بها في نجاح الآخرة ولا في سعادتها التي لها وحدها القيمة الحقيقية والأهمية البالغة ، حيث إن النجاح الأخروي متوقف كلياً على العمل الذي يمارسه المرء صادراً عن إرادته واختياره، قاصداً به وجه الله سبحانه وتعالى وحده، لذا فإن الكياسة أن يجنّب المرءُ نفسه الحقد والحسد، ويركز كل جهوده وطاقاته على العمل من أجل الآخرة، سائلاً الله تبارك وتعالى فضْله وتوفيقه .

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا

obeikandi.com

فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾

قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ: قيام الولاة المصلحين على الرعية .

قَانِتَاتٌ: مطيعات لله ولأزواجهن .

حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ: صائنات للعرض والمال في غيبة أزواجهن .

بِمَا حَفِظَ الله: لهن من حقوقهن على أزواجهن .

نُشُوزَهُنَّ: ترفعهن على مطاوعتكم .

حيثما وُجدت أية مجموعةٍ بشريةٍ، سواء كانت أسرةً أم مملكةً، لابد لها من رئيسٍ وزعيم يتولى أمورها .. ومن المتحتم أن يكون هذا الرئيس شخصاً واحداً لا غير .. وطبقاً لمنهج الله في الكون ، فإن الرجل المعهود إليه برئاسة الأسرة؛ قد تم خلْقه وتصميم كيانه البدني والنفسي على هذا الاعتبار.. وما الفوارق البيولوجية والنفسية التي تُوجد بين بنْية الرجل وبنْية المرأة، إلا انْسجاماً وتساوقاً فعْلياً مع هذا المنهج الإلهي .. إذًا فلو حاول بعض الناس أن يسيروا في الاتجاه المضاد للمنهج الإلهي، لما أمكنهم أن يزيدوا في هذه الدنيا شيئاً سوى الفساد والدمار .. ذاك لأن خلق الله لن يزال مستمراً على وَتِيْرته في تكوين الرجل والمرأة وفق متطلبات منهجه المرسوم، يتم تزويد الرجل بمؤهلات ((القوامة))، ويتم تزويد المرأة بمؤهلات ((الطاعة والإذعان))؛ بينما لا يكون توظِيْفهما الاجتماعي قد رُوعِي فيه مقتضى التكوين الإلهي .. ولا جرم أن كل تناقصٍ من هذا النوع إنما يكون باعثاً على الشر والفساد في هذا الوجود ليس غير.

وخيْر النساء التي تعترف بتفوق الرجل، اندماجاً بذاتها في خطة الله التكوينية ، وخيْر الرجال الذي لا يُنْسِيْه غروره بتفوق ذاته أن الله أعلى منه وأكبر، وأنه تعالى أقدر عليه مما هو عليها، وليس ثمة فرقٍ أو امتيازٍ بين الرجل والمرأة أمام المحكمة الإلهية العادلة .. إن أهمية هذه الفوارق والامتيازات كلها لا تعْدو الناحية التنظيمية لشئون الحياة الدنيا، ولا عبرة بها البتةَ فيما يتصل بثواب الآخرة ومكافآتها .

وينبغي للمرء أن يهتم بتأدية واجباته ومسئولياته نحو المرأة كل الاهتمام ..وإذا كانت هناك امرأة ترفض الاعتراف بتفوق الرجل التنْظيميّ، فلا ينبغي أبداً أن يندفع الرجل نحو الانتقام

والتشفيّ؛ أو يأخذ في تشْويْه سمْعة المرأة من خلال إلصاق التهم الكاذبة بها .. إذْ إن أي نوعٍ من التفوّق والامتياز لا يُعفي صاحبه من التقيّد بمبدأ العدل والنصفة، فاعْتبار المبدأ فوق اعْتبار الشخص ومنزلته، كائناً من كان.

على أن ثمة حالات استثْنائيةً أُتيْح فيها للرجل حق ليحاول تأديب المرأة وإصلاح عوجها، فيما إذا رأي منها التمرد والعناد .. وأول خطوةٍ ستبْدأ بها محاولة الإصلاح هذه تتمثل في الموعْظ والتذكير .. ثم يمكن اللجوء - بعْد إخفاق الخطوة الأوْلى - إلى ترك الكلام والهجران للضغْط الأولي عليها .. وفي المرحلة الأخيرة يجوز للرجل أن يضربها ضرْباً غير مبرحٍ؛ كأن يضرب بالسواك مثلاً ..

وأحسن طريقٍ لفض الخصومة وتسويتها في هذه الحالة، هو أن يرضى الطرفان بتحكيم رجلٍ ثالثٍ بيْنهما .. فإن هذا الثالث الْوسِيْطَ - لِكوْنه غير مرتبطٍ بالقضية ارتباطاً ذاتياً - سيفكر فيها بعقليةٍ غير متأثرةٍ ولا متحيزةٍ .. وبالتالي سيوفق للوصول إلى قرارٍ واضح سديدٍ يتفق مع الحقيقة الواقعة .

﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ
وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ
ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ
يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا
يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾
وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ
عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾

وَالجَارِ الجُنُبِ: البعيد سكنا أو نسبا .

وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ: الرفيق في أمر حسن .

openkanz.com

وَابْنِ السَّبِيلِ: المسافر الغريب . أو الضيف .

مُخْتَالاً: متكبرا معجبا بنفسه.

فَخُوراً: كثير التطاول والتعاظم بالمناقب .

رِئَاءَ النَّاسِ: مراءاة لهم وسمعة .لا لوجه الله .

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ: مقدار أصغر نملة، أو هباءة .

كل ما عند الإنسان هو من عطايا الله تبارك وتعالى ، الأمر الذي يقتضي أن يسلم الإنسان نفسه إلى الله، ويصير عابداً مخلصاً له عز وجل دون أن يشرك بعبادته أحداً سواه، وإن المرء حينما يصبح إنساناً ربانياً على هذا النحو، تتولد في داخله تلقائياً طبيعة التواضع، وطبيعته هذه تنْسكب على سائر علاقاته وتصرفاته مع أولئك الذين يعيش بينهم. فتتخذ طبيعته صورة السلوك الجميل في أثناء تعامله مع الوالديْن ، وكل شخصٍ يتعامل معه .

والشخص الذي لا يسلم نفسه ولا يفوض أمره كله إلى الله، تَسْتيْقظ في داخله نفسية الفخر والاعتزاز ، إذْ يحسب أن كل ما عنده نتاجا لجهوده ومؤهلاته الذاتية؛ مما يجعله يرى كسْبه حقاً لذاته وحدها، ويترفع بالتالي عن الاتصال بأقاربه الضعفاء أو تفقد أحوال المساكين وذوي الحاجة لاعْتباره شيئاً لا يليق بشأنه ، ومع أنه يبذل قسطاً وافراً من ماله في سبيل إشباع رغباته أوْ تحقيق مصالحه الذاتية، غير أنه يضيق صدره بإنفاق المال في وجوهٍ لا يكون الإنفاق فيها عائداً عليه بما يُغذّي أنانيته وكبرياءه ، إنه أسْخى ما يكون في مواطن الظهور والشهوات؛ وأبْخل ما يكون في مناسباتٍ دينيةٍ لا يُسجلّ فيها اسم المنفق ولا مبلغ إنفاقه بمداد الفخر .

وربما يلْجأ المرء إلى التقليل من أهمية شيءٍ أو تجْريده من كل قيمةٍ وأهميةٍ إطلاقاً، فيما إذا كان لا يجد في نفسه ميلاً صادقاً إليه ولاهمةً تبعثه على اختياره عملياً ، وإنه إذْ يلْجأ إلى ذلك فكأنما يريد إضْفاء طابعٍ نظريٍ فكري على قضيةٍ ذاتيةٍ بحتةٍ ، إنه يحاول أن يُثبت أنه على الحق، غير أن أية محاولةٍ لن تجْدي عند الله شيْئاً .

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ

يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا
﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا
جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ
مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ
بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾

لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ:لو كانوا والأرض سواء فلا يبعثون .

عَابِرِي سَبِيلٍ: مسافرين فقدوا الماء فيتيممون .

الغَآئِطِ: مكان قضاء الحاجة (كناية عن الحدث) .

لامَسْتُمُ النِّسَاءَ: واقعتموهن أو مسستم بشرتهن .

صَعِيداً طَيِّباً: ترابا أو وجه الأرض – طاهرا .

عندما يُبعث الداعي إلى الحق فإنه يكون في صورةٍ بشرٍ عاديٍّ، بحيث لا تكون أسباب العظمة الظاهرية ومظاهر التألّق البراقة مجتمعةً حوله .. مما يجعل كبار العصر لا يُعيرونه اهتمامٍ .. إذْ إنهم لا يكادون يستيْقنون بأن شخصاً دونهم أهميةً، وأضعفهم سلطاناً في الدنيا، يمكن أن يفوقهم في معرفة الحق والصدق أو يسبقهم إليهما !!

ولكن حينما تأتي القيامة، فسيرى هؤلاء عندئذٍ بدهشةٍ واستغرابٍ أن الشخص الذي كانوا قد رفضوه في الدنيا قد جُعل الشاهد الإلهي في محكمة الآخرة .. وهو الذي سيتم تحديد مصائر الناس بناءً على تصريحه وشهادته حين يقف هؤلاء موقف المجرمين،فإنه سيكون في موقف المتحدث المأمور من عند الله جل جلاله !!

وإنها ستكون ساعةً رهيبةً مروعةً لدرجة أن الناس يودون لوْ أن الأرض تنشق من تحت أقدامهم فتبتلعهم، أوْ يُدفنوا فيها فتسوى بهم !! غير أن هذا الندم والتحسر لن يجدي عنهم فعيلاً ..فإن الله سيُوجَد عنده سجل محتوٍ لا على أقوالهم وأفعالهم وحدها بل وعلى أفكارهم

ونيّاتهم الخفية .. وإنه تعالى سوف يُريهم أن إنكارهم للداعي إلى الحق لم يكن ناشئاً عن جهلٍ، بكونه ناشئاً عن الكبر والغرور ؛ إذْ إنهم عدّوا أنفسهم كباراً وذويْ شأنٍ، بينما استهانوا بشأن الداعي إلى الحق واحتقروه .. وأنهم – بالرغم من رؤية الحقيقة في صورتها الواضحة المجردة، والاطلاع عليها اطلاعاً مباشراً – إنما جحدوْا بها لما كان يُخيَل إليهم أن إيمانهم بها سيُعيد سيادتهم وسلطانهم أثراً بعد عينٍ !!

لقد تضمنت الشريعة رخصاً وتسهيلاتٍ غير عاديةٍ بالنسبة للإنسان .. ومن ثم فقد رُخصّ له في هذه المواطن الاكتفاء بالتيمم مكان الوضوء أو الغُسل إذا كان يخشى الضرر منهما .. إن الوضوء المعتاد يكون بالماء،وأما التيمم فكأنه وضوء بالتراب.. والغاية من الوضوء هي إيجاد نفسية النظافة والطهارة في نفس المرء ..وأما التيمم فهو تدبير مادي للإبقاء على نفسية الطهارة والنظافة هذه في حالة عدم التمكن من الوضوء بالماء ..

وعلى أن آية «ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى، حتى تعلموا ما تقولون» وردت هنا ضمن الأحكام الابتدائية عن الخمر .. غير أنها تتضمن الإشارة إلى حقيقةٍ ذات أهميةٍ بالغةٍ عن الصلاة .. وهي أن الصلاة عبادة تُؤدَّى مع تمام الوعي والإدراك.. فالصلاة إذًا ليست عبادةً عن مجرد تكرارٍ لمجموعةٍ من الألفاظ والعبارات وإعادة حركاتٍ وسكناتٍ معينةٍ، مع الاهتمام بصحة الأداء بنوعٍ خاصٍ ، بل ومن الضروري أيضاً أن يكون المرء في أثناء صلاته حاضر الذهن يقظ الشعور، فلْيَقُمْ لأداء الصلاة واعياً بحقيقة الصلاة كل الوعي ، وَيَخْضَعْ فكره وإرادته هما الآخران أمام الله مثلما يظهر خضوعه له بلسانه وجسده ، ولْيَرْكعْ ويَسْجُدْ شعوره هو الآخر لله ويسجد له ببدنه .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ: يغيرونه أو يتأولونه بالباطل .

وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ: قصد به اليهود الدعاء على النبي ﷺ .

وَرَاعِنَا: قصدوا به سبه وتنقيصه ﷺ .

لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ: انحرافا إلى جانب السوء في القول .

وَأَقْوَمَ: أعدل وأصوب وأسد.

إنما يَبْعث الله بكتابه إلى طائفةٍ من الطوائف لكي تستعين به على إصلاح أفكارها وأعمالها، وتتخذ منه نبْراسًا تستنير به مسيرة حياتهم ، ولكن عندما تُمنى أية طائفةٍ أمنيةٍ على الكتاب السماوي بالانحطاط الديني، كما مُني اليهود بذلك، فإنها لا تلبث أن يصير كتاب الله عندها مصدراً للضلالة بدلاً من الهداية !.. حيث تصبح الأحكام الإلهية موضوع المجادلات الفرعية العقيمة، كما تظهر إلى الوجود تفريعات ومسائل فلسفية دقيقة يشتد الخوض فيها بعنوان «علم العقائد» .. ويصل بها الأمر نهائياً إلى أنها تسْتوْحي من الكتاب الإلهي آراء ونشاطاتٍ لا علاقة لها بقضية الآخرة !!

وأمثال هؤلاء الناس، بسبب نزعتهم التقليدية، يرون من الضروري أن يطْبعوا كل ما يأْتونه أو يدعونه بطابعٍ إلهيٍ،ومن ثم لا يتحرجون من تغيير كتاب الله من أجل البحث عن مبررٍ ديني لبعض أعمالهم، ويحرفون كلمات الله عن مواضعها وسياقاتها الحقيقية، ويفسرونها وفْق أهوائهم الذاتية .. ويُسيئون استخدام بعض الألفاظ والعبارات على نحوٍ توحي بمفاهيم ومدلولاتٍ لا تمت إلى التعاليم الإلهية الأصلية بصلةٍ ..

وقوله عن اليهود إنهم : ﴿ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ يعني أنهم، مع كونهم قد تمكنوا من قراءة ألفاظ الكتاب الإلهي، إلا أنهم ظلوا بعيدين كل البُعْد عن العمل بالكتاب الإلهي؛ الذي كان الهدف الأصلي المنشود .. فقد ظلوا حَمَلة الكتاب بالنسبة إلى مضمونه اللفظي فقط، في حين أنهم أغفلوا القيام بمقتضياته العملية ، وساروا في حياتهم سيرة من عداهم من الشعوب والأمم ذوات الاتجاهات المادية البحْتة .. ثم إنهم – بالإضافة إلى ذلك – كانوا أكثر تمرداً وتوغلاً في البغي والعناد من عامة أصحاب الدنيا – الذين يمارسون نشاطهم الدنيوي دون

تمويْه أو تسميته بغير اسمه - إذْ بدأوْا في إقامة الدليل على صحة نشاطهم الدنيوي من كتاب الله !!

ثم إن ضلالتهم لم تقف عند حد أنفسهم وحدها، حيث إنهم كانوا يزعمون أنهم ممثلوْ الديانة الإلهية، لذا فلما أن أخذ العرب من غير اليهود في مناصرة رسول آخر الزمان ﷺ ، حتى أخذ اليهود بدورهم في معارضة الرسول نفسه من أجل الحفاظ على اعتبارهم أو سُمْعتهم الدنيوية، فلجأوا إلى تلمس ألوانٍ من العيوب والنقائص في تعاليمه وحياته ﷺ ، بغْية تشكيك الناس في صدْق رسالته، حتى يحسبوه رجلاً ابتعثتْه نفسه ودفعه طموحه الذاتي لرفع لواء الدين الإلهي، وليس نبيا مرسلاً من عند الله عز وجل.

إن «اللّعْنة» ، الصورة النهائية للقسْوة وبلادة الإحساس؛ فعندما تبلغ القسْوة والبلادة من الإنْسان مبلغاً لا يعود لديه معه الوعي بالفوق القائم بين الحق وغير الحق، فتلك هى اللعنة بعينها .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾

نطْمِسَ وَجُوهاً: نمحوها أو نتركهم في الضلالة .

يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ: يمدحونها بالبراءة من الذنوب .

فَتِيلاً: قدر الخيط الرقيق في شق النواة.

في بعْض الأحْيان يسمع المرء شيئاً، ولكنه لا يسمعه في واقع الأمْر .. وهذا يحدث عندما

يكون المرء غير جادّ حق الجدية في تفهم ذلك الشيء؛ولا راغبٍ في العمل به .. وهذه النزعة حين تبلغ منْتهاها، فيصير حال الإنسان،من قلة الوعْي والإدراك،وكأنْ قد طُمستْ آثار وجهه ومُحيتْ حواسه محْواً كاملاً .

وصيْرورة حال المرء إلى هذا النحو من العَمَى والصمم بالنسبة لفهمْ الحق، علامة تدل على أن الله قد حرمه من توفيقه نتيجةً لاستمراره وإصراره على عدم الاحتفال واللامبالاة بأمر الحق .. فقد أعطاه الله الأذن، ولكنه لم يسمع بها، وقد زوّده الله بالعيْن، ولكنه لم يُبْصر بها .. إن القسوة والبلادة حينما تنتهى إلى أقصى درجاتها تتحول إلى المسْخ والتشوّه !!

قال اليهود : إننا من سُلالة الأنبياء؛ ولذا فإن طائفتنا هي طائفة مقدسة، وكانوا قد اختلفوا صنوفاً من الأساطير والروايات المتضمنة تصديقاً لشرفهم السُلالي العريق وفضيلتهم الطائفية الموروثة، وقد كانوا يعيشون في عالم هذه الأماني العزاب ! كما كانوا قد اصطنعوا من عند أنفسهم عقيدة بقول : إن كل شخصٍ ينتمي إلى الشعْب اليهودي ناجٍ لا محالةً، وأنه لنْ يُلقى بأي يهودي في نار جهنم أبداً !!

وقوله:﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ يدْحض هذه الفكرة من الأساس، ومعناه أن الانتماء إلى سلالةٍ أو طائفة معينةٍ لا يُجعل أحداً ينال مقام الشرف أو الفضيلة، بل إن ذلك يتعلق بقانون العدل الإلهى، فالشخص الذي يثبت جدارته وأهليته بعمله،فلن يظفر بالشرف والمجد بناءً على مجرد انتمائه إلى طائفةٍ معينةٍ.

وإن عقيدة ((الخلاص الطائفي أو الشعْبى))- سواء أكان يؤمن بها اليهود أو غيرهم- باطلة .. والذين يختلقون هذا النّوع من العقائد الخرافية، ينسبونها إلى الله عز وجل .. غير أن ذلك لا يعْدو أن يكون محض الافتراء والكذب على الله، إذْ إن الله سبْحانه وتعالى لم يبْعث بمثل هذا التعليم أحدًا قط ، ولوْ أن الله سبحانه وتعالى أخذ يفرق بين إنسانٍ وآخر بناءً على الانتماء الطائفي لكان ذلك ظلْماً، على حين أنه تعالى هو العدل كله وليس بظالمٍ أحداً أبداً .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا
يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ
ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ
بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ
نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا
ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾

إن طائفةً أمينة على الكتاب السماوي، عندما تُمنى بالانحطاط الديني، فتبدأ تعيش على مستوى الآمال والأماني العزاب بدلاً من الحقائق الصريحة والصارمة ، وبالتالي تروج وتنتشر بينهما ضروب من الأوهام والتخيّلات على نطاقٍ موسعٍ جداً، فالشيء الذي لا يُنال إلا بواسطة العمل الحقيقي، فإذا بها تأخذ في محاولة نَيْله عن طريق العزائم، والعقائد الخرافية، والشعْوذات.

وأمثال هؤلاء يحسبون شأن الدين كشأْن «الكلمات المقدسة » و «الروابط المباركة»؛ التي يؤدي مجرد تكرارها اللساني أو الارْتباط بها رسمياً إلى خلْق معجزاتٍ ووقائع طلسميةٍ خارقةٍ للعادة ..بينما يكون حالهم تكريس حياتهم العملية كلها في سبيل الشيطان، مع كوْنهم يرفعون بألْسنتهم هتاف الدين .. فهم يتبعون في واقع حياتهم الشهوات النفسانية والإغراءات الشيْطانية، ولكنهم يلبسون مسوح الدين في ظاهر أمرهم، زاعمين أن كل ما فعلوه هو عين الدين الإلهي !!

وفي وضْعٍ كهذا حينما تقوم بيْنهم الدعوة إلى الحق الخالص، فإنهم لا يلبثون أن يصبحوا من أشد الناس عداوةً ومعارضةً لها؛ ذاك لأنه يُخيلّ إليهم أن الدعوة الجديدة تُلغيْ اعتبارهم الديني .. وبما أن وجود الكفار لا يشكل له أي تحدٍّ من هذا النوع؛ لذا فهم يوطّئون أكنافهم

للكفار؛ لأن قلوبه لا تنطوي على مثقال ذرةٍ من خيرٍ أو نصْحٍ بالنسبة للداعي إلى الحق، فتتقد في صدورهم نيْران الحسد والحقد قائلين : إننا كنا نحن المرجع والعمدة في أمور الدين منذ أزمانٍ متطاولةٍ، فكيفي عهد بتمْثيل الدين الإلهي إلى شخصٍ آخر سوانا؟! وإنهم ينْسون أو يتناسوْن أن الله عز وجل إنما يختار أحد الناس ممثلاً لديْنه بناءً على استعْداد المرء القلبي الداخلي، وليس بناءً على المظاهر الشكلية الخارجية .

و «اللّعنة» هي طرْد الرجل وإبْعاده كلياً عن رحمة الله ونصرته.. وكما أن حياة الإنسان المادية لا تلبث أن تنْتهي إذا كان قد مُنع عن الطعام والشراب، فإن حياة الإنسان الإيمانية كذلك تبلغ نهايتها في إثر حرمانه من النصرة الإلهية .. إن «الإنسان الملعون» يصبح إنسانًا هامدًا خامدًا فلا تعد لديه القدرة على التمييز بين الحق وغير الحق ، فلا يكتب له التوفيق للإيمان والاعتراف بالحق ، بالرغم من ظهور الآيات الباهرات .. فلا يمكنه أن يعرف الدلائل والبراهين على الحق من الترهات والأباطيل الفارغة .

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن
تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا (٥٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ
إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا (٥٩)
أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ
أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ
ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا (٦١) فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ
جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا (٦٢) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا
فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا (٦٣) ﴾

تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ: جميع حقوق الله وحقوق العباد .

obeikandi.com

نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ: نعم الذي يعظكم به ما ذكر .

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً: أجمل عاقبة وأحمد مالا .

الطَّاغُوتِ: الضليل كعب بن الأشرف اليهودي .

يَصُدُّونَ عَنكَ: يعرضون عنك .

كل مسْئوْليةٍ أمانة.. ولابد من تأديتها على الوجْه الصحيح المطْلوب .. وينبغي للمرء أن يتعامل مع كل الناس على حسب ما يقتضيه العدل والنصفة،سواء أكان المتعامل معه صديْقاً له أم عدواً .. ويجب ألا يزال ثابتاً على جادة العدل والحق،دون أن يحيد عنها قيْد أنملةٍ،حتى ولو كان ثباته على ذلك متعارضاً - في ظاهر الأمر- مع مصالحه ومنافعه الذاتية؛إذْ إن الخير والفلاح كله إنما يكمن في اتباع التوحيد الإلهي، وليس في الانْسياق وراء هوى النفس وإذا كانت الظروف تسمح بإقامة نظامٍ حكومى، فينبغي للمسلمين عندئذٍ أن يقوموا بتأسيْس الحكومة الإسلامية على قواعد التشريع الإلهي وأما إذا لم تُوجد هناك الفرص المناسبة لإنْشاء الحكومة،فلْيتخذوْا من صالحيْ أفرادهم ومن يُوثَق بهم زعماء لهم،ولْيُمارسُوْا حياتهم الدينية على ضوْء إرشاداتهم وتوجيْهاتهم السّديْدة.. وإذا نشأ بينهم التنازع والاختلاف في شأنٍ من الشئوْن،فيجب على جميع الأطراف المعْنية أن تحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، وتتفق نهائياً على قبول الحكم المنبثق عنهما.. فإنه إذا كان شخص يتمتّع بحرية الرأي وحق الاختلاف في الفكر، إلا أنه ليس لأحدٍ حق الاعتراف أو الخروج على الحكم الاجتماعي المجْمَع عليْه .. فالنظام الاجتماعي ضرورة اجتماعية للمجتمع المسلم .

وفي أول عهْد الإسلام بالمدينة كانت هناك محكمتان لفصْل الخصومات الاجتماعية، إحداهما : محكمة الرؤساء اليهود القديمة، والثانية : هي محكمة رسول الله ﷺ التي تم إنْشاءها بعد الهجرة .. وكثيرا ما كان المنافقون يرفعون قضيتهم إلى محكمة كعب بن الأشراف - زعيم اليهود - إذا رأوْا أن دعواهم واهنة يعْوزها الدليل، وأنهم بذلك لن يتمكنوا من استصْدار الحكم الموافق لصالحهم من محكمة رسول الله ﷺ.

إن هذا الصنيْع مناقض للإيمان .. إذْ لوْ كان المرء غير راضٍ بقضاء الله، بل يريد استصدار

الحكم الموافق لهوى نفسه، فلا جرم أنه كاذب في ادعائه الإيمان ... مهما كانت لديْه مجموعة هائلة من الألفاظ والعبارات الجميلة تبرر موقفه وتثبت أنه على الحق والصواب.. غير أنه ينبغي أن تستمر عملية النصح والموعظة لأمثال هؤلاء الناس بأسلوبٍ إيجابيٍ مؤثر، دون الخوض معهم في جدلٍ أوْ نقاشٍ لا طائل تحته.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾

شَجَرَ بَيْنَهُمْ: أشكل والتبس عليهم من الأمور.

حَرَجًا: ضيقا أو شكا.

وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا: أقرب إلى ثبات إيمانهم.

لا يُبعث الرسول لاتخاذه بطلاً يحيطوه الناس بهالةٍ من التجلية والاحترام، ويتقدمون إلى جانبه بإهداء باقاتٍ رائعةٍ منوعةٍ من مديح الكلام وكفى !! إنما يُبعث الرسول لكيما يتلقى المرء منه منْهج حياته، ويأخذ نفسه باتباع ذلك المنهج عملياً .. وينبغي أنْ يبلغ اهتمام المرء بهذا الشأن مبلغاً لا ينحرف معه عن طاعة الرسول والانقياد لأوامره حتى في المواقف البالغة الخطورة والحساسية .. فإذا تعارضتْ مصْلحة شخصيْهما واستيْقظتْ بالتالي في قَلْبَيْهما مشاعر

المقت والاستياء أحدهما نحو الآخر، فإن المرء مطالب بأن يضْبط نفسه ويكفها عن الإساءة، ويلتزم إرادياً وعلى رغم بالمنهج النبوي .. فإن الشخص الذي يقبل بتوجيْه الرسول ويتمسك به في مواقف النزاع والخصومة هو المؤمن بالرسول حقاً! ..

فالمؤمن هو الذي يتقبل منْهج الرسول عن رضاً قلبيٍ وطواعيةٍ داخليةٍ، حتى ولوْ كان مناقضاً لميوله ونزعاته ومصالحه الذاتية .. والذي يكون مرهف الحس يقظ الشعور لدرجة أنه ما إنْ يصدر عنه خطأ ما فى حينٍ من الأحيان بدافعٍ وقتيٍ، حتى يتنبه سريعاً، ويدرك أنه كان قد انْساق وراء الشيْطان متخلياً عن طاعة الرسول، فيتجه فوراً نحو الله سائلاً إياه العفو والمغفرة ..

والشخص الذي لا يطيق الثبات والاستقامة على خطا الدين في مواجهة الصدمات والهزات النفسية، كيف يمكن أن يُعقد عليه الأمل في أن يظل صامداً في وجْه تلك المواقف الأشد قسْوةً وخطورةً، فيُضطر المرء إلى مغادرة الأهل والوطن، وبذْل النفس والنفيس، دفاعاً عن إيمانه وحفاظاً عليه ؟!!

إن أعظم شيءٍ يفقده المرء نتيجة لاتباعه أهواء النفس، واتخاذه من المصلحة والمنفعة المادية أساساً لحياته العملية، هو «الصراط المستقيم» .. أي ذلك الطريق القويم الذي يؤدي بمنْ يسلكه ويسير عليه بدأبٍ واستمرارٍ إلى حيث يلقى الله ربه .. وهذا الطريق مبين فى كتاب الله وسنة الرسول بصورةٍ واضحةٍ صريحةٍ .. غير أن المرء لو جعل تفكيره سجيْن التحفّظات، فلا يعود بإمكانه أن يُبصر «الصراط المستقيم» رغْم وضوح معالمه على وجهٍ أكمل .. فإنه يدرس الدين متأثراً برغباته ومصالحه، وليس في صورته الخالصة النقية .. فيتكون في ذهنه مفهوم معين مزعوم للدين يتفق وما هو عليه فكيف يستحق أمثال هؤلاء الجنة، تلك التي يسكن فيها أولئك الذين اختارُوا الدين مترفّعين عن كل المصالح والمنافع على اختلاف أنواعها .. الذين هم عباد الله الأبرار الموفون بالعهد الإلهي، والباذلون أقصى جهودهم وطاقاتهم لشهادة الحق، والذين حياتهم غاية في الطهر والنقاء والعفاف .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ

مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ
شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ
يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣) ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا
عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا
وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (٧٥) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ
كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) ﴾

خُذُوا حِذْرَكُمْ: خذوا سلاحكم.

فَانفِرُوا ثُبَاتٍ: اخرجوا للجهاد جماعات متفرقين.

لَيُبَطِّئَنَّ: ليتثاقلن أو ليثبطن عن الجهاد.

يَشْرُونَ: يبيعون (وهم المؤمنون).

الطَّاغُوتِ: الشيطان وسبيله الكفر.

إن العلم الحاضر هو عالم الامتحان، ولذا فكل شخصٍ يتمتع بحرية العمل والتصرف، فقد أتيح للأشرار أيضاً الفرصة لكي يذيقوْا الصالحين من عباد الله ألواناً من العذاب، ويتخذوا منهم غرضاً لظلمهم وتحركاتهم العدوانية، كما أن عباد الله الصالحين مطالَبون بأن يظلوا صامدين في وجْه ما يلقونه من الشدائد والمحن من قبل الأشرار حتى يظهر صدق إيمانهم وإخلاصهم، فلابد لأهل الإيمان إذنْ من أن يكونوا على حذرٍ دائمٍ إزاء أعداء الله، وأن يكونوا على أهبة الاستعْداد للدفاع عن أنفسهم من خلال اتخاذ التدابير السلمية والتسليح بما يلزم من المعدات الحربية، إذْ إن الظروف تقتضي منهم أن يقاوموا أعداءهم

obeikandl.com

متفرقيْن ومجتمعين معاً .

وبالإضافة إلى ذلك فقد ينْدسّ إلى صفوف المسلمين أنفسهم أناس، يريدون اشتراء سلْعة الآخرة الغالية دون أن يتحملوا أية خسارةٍ في دنياهم ، كما ظهر ذلك في أثناء موقعة أحدٍ ، وأمثال هؤلاء ربما يكونون أسْبق ممن عداهم إلى المساهمة في أمورٍ تنطوي على بعض المنافع الدنيوية من بعض الجوانب ، غير أنهم يفتعلون أعْذاراً لتبرْير انْفصالهم عن مهمةٍ دينيةٍ تتضمن المخاطر وتكلف الخسائر المادية .

وسبب هذا الاتجاه النفْعي الانْتهازي أن أصحابه، ما زالوْا يعيشون عملياً على مسْتوى هذه الدنيا الحاضرة؛ إذْ لوْ رسخ في أذْهانهم اليقين القائل بأن الآخرة لها وحدها الأهمية الحقيقية، لفقد النجاح والخيْبة في هذه الدنيا الفانية كل قيمةٍ واعتبارٍ في أنظارهم .

وإنما المجاهد في سبيل الله حقاً هو الذي لا ينْبغيْ شيئاً سوى السعادة الأخروية .. والذي يمضي قدماً في سبيل الله مضحياً بمنافع الدنيا ومصالحها العاجلة .. وليسوا من المجاهدين في سبيل الله في شيءٍ أولئك الذين يحبون أن يكونوا «أبطال» معْركةٍ يمكن فيها الحصول على أوْسمة الشرف بدون أن يمسهم قرح .. وحيث يُستطاع الوصول إلى قمة المجد والشهرة بمجرد النطْق بكلماتٍ رنانةْ !!

إن القتال في سبيل الله هو الذي يواجهه ذلك العبد الذي يكون قد نهض من أجل إعلاء كلمة الله وحدها .. بحيث يقوم بإنذار الناس وتخويْفهم من عذاب الجحيم، ويدعوهم إلى نعيم الجنة، دوْن أن يفتح باب النزاع مع أحدٍ على الصعيد السياسي أو الاقتصادي .. ولكن الأشرار لا يدعونه حتى يتصدوْا لعرْقلة مسيْرته، ويعلنوا الحرب عليه..

وأما المقاتلون في سبيل الشيطان هم الذين يتعرضون لقتال أحد الدعاة إلى الله، نظراً لأن دعوته تمثل ضربةً قاصمةً موجهةً لأنانيتهم وكبريائهم، وأن انتشار رسالته سوف يشكل خطراً اقتصادياً لهم أو يقلص نفوذهم السياسي إلى حدٍ كبيرٍ .. وأنهم لا يملكون لنقض دلائله وردّ براهيْنه شيئاً سوى منطق القوة وسياسة الاعتداء !

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا

كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟
رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ
وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ
وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن
تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ
لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن
سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾

فَتِيلاً: قدر الخيط الرقيق في شق النواة.

بُرُوجٍ: حصون وقلاع... أو قصور.

مشَيَّدَةٍ: محكمة أو مطولة مرتفعة.

في زمن ما قبل الهجرة إلى المدينة،كان معارضو الإسلام بمكة، يتفننون في إيذاء المسلمين وإلحاق الضرر بهم بكل الطرق والصور الممكنة.. فمن الضرب والتعذيب البدني، إلى تحطيم اقتصادياتهم ووسائل معيْشتهم،إلى صدّهم عن العبادة في المسجد الحرام،إلى الحيْلولة دون قيامهم بعملية التبليغ ونشر الرسالة الإسلامية،إلى إرْغامهم على مغادرة الأوْطان والديار.. كل ذلك استحلوه لأنفسهم إزاء المسلمين.. كل أنواع الضغوط المادية والاجتماعية على معتنْ الإسلام حديثا؛حتى يرتد عن الإسلام؛ويعود إلى دين آبائه السابق .

وبالنظر إلى عدوان المعارضين الصارخ فقد صار من الجائز للمسلمين أن يحملوا السيْف ضدهم، ولذا فقد كانوا يلتمسون من رسول الله ﷺ بين الفِتْنة والأخرى أن يأْذَنَ لهم بالحرب .. إلا أنه كان يرد عليهم دائماً بأني لم أُؤْمَر بالقتال بعدُ .. وإنما عليكم أن تصبروا، وتهتموا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

وكان السبب وراء ذلك أن الإقدام قبل الوقت المناسب مما لا يتفق ومنْهج الإسلام.. ففي

مكة لم تكن قوة المسلمين تساعدهم على أن يتخذوا أية خطوةٍ حاسمةٍ ضد أعدائهم .. إذْ إن حمل السلاح على أهل مكة في ذلك الوقت كان مرادفاً لجر مصائب جديدةٍ على المسلمين أنفسهم ، فقد كان ذلك يعني أن تُتاح فرصة القيام بحملةٍ عسكريةٍ مكثفةٍ شاملةٍ، لذلك العدو الغاشم الذي ما برح يمارس الظلم والعدوان على المستوى الفردي فقط ، وأن الإقدام العملي يكون دائماً بعد تمام الاستعداد الفعلي وأخْذ الأهْبة اللازمة لذلك مسبقاً ، وأما قبل هذا فإنما يُطالبَ أهل الإيمان بالأحكام والواجبات الفردية التي لابد منها في كل الظروف والأحْوال مثل : تعميْق الصلة بالله، وتأدية حقوق العباد، والصبر على الأذى والمحِنَ التي تعترض في طريق الدين .. إلخ .

وعندما نزلت أحكام الكفاح والتضحية في القرآن، أقضّتْ على عبيْد المصلحة والمنْفعة مضاجعهم، وتعكّر صفوهم، إذْ خُيلّ إليهم أن شمْل حياتهم الهانئة الوديْعة سرعان ما سيتبدد ! وقد لجأوا إلى افْتعال صنوفٍ من الحيل والتعليلات لإخفاء ضعْفهم وتقاعسهم عن الكفاح وتقديم التضْحية ، فإذا وقعت الهزيمة في معركة أحد، أخذوا في زرْع بذوْر الشك والارتياب في قلوب الناس في صحة توجيْه الرسول، قائلين إنها لم تكن إلا نتيجةً لسوء تدبير الرسول وقلةِ خبْرته ، كما كانوا يتظاهرون بنزعتهم الإسلامية من خلال آرائه وقراراته، وتوسلاً إلى الفرار من واجبات الإسلام ومقتضياته العملية الباهظة .

وإنه من الممكن أن يبقى المرء بمناصرته ويقف إلى جانبه .. الأمر الذي أصعب وأشق ما يكون على الإنسان.

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾
وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ
يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا
يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا
جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ
مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ

ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

حَفِيظاً: حافظا ومهيمنا .

بَرَزُوا: خرجوا .

بَيَّتَ طَائِفَةٌ: دبرت بليل،أو زورت وسوت .

أَذَاعُوا بِهِ: أفشوه وأشاعوه .

يَسْتَنبِطُونَهُ: يستخرجون تدبيره أو علمه .

إن الإيمان بالداعي إلى الله أن تؤمن «ببشرٍ مثلك» ، وهذا السبب في أن الرجل يؤمن بالله تعالى ولكنه يستنكف عن الإيمان بالداعي إلى الله ، غير أن اخْتبار الإنسان الأصلى فى أن يعرف الداعى إلى الله، ويقف إلى جانبه وينضوي تحت لوائه ، وإذا لم يفكر المرء في أمر الداعى على أنه أمر الله، فلا يأخذه بمأْخذٍ جديٍ، وبالتالى يظهر الموافقة والطاعة له إذا كان أمامه، ولكن ما أن يخرج من عنده، ويخلو إلى نفسه حتى يعود إلى سيرته الأوْلى ، ويخوض في نشر أقاويْل ضده، لا ينشرها إلا الذى لا يملك أيما شعورٍ بالمسئولية ، والذين يقفون تجاه الداعي إلى الله موقف الإهمال واللامبالاة على هذا النحْو، لن يُتركوا عند الله بمجرد قولهم إننا كنا جاهلين، ولم نكن نعرف الحق ، إذْ لوْ تفكر المرء برويّةٍ وأناةٍ، لوجد في كلام الداعي الذي أجراه الله على لسانه كل كفايةٍ لمعرفة صدقه وصحة رسالته!

ومن أوْضح الأدلة على كوْن القرآن كلام الله خلوه من التناقض والاختلاف ، فليْس فيه شيء يتعارض مع الفطرة البشرية، أوْ لا يتفق مع أية حقيقةٍ من الحقائق الثابتة المسلّم بها، ولا يُوجَد فيه بيان تاريخي يختلف في جوهره عن الأخبار الصحيحة المستقاه من الكتب السماوية السابقة ، كما أنه لا يتضمن أية إشارةٍ عمليةٍ تتناقض مع أية حادثةٍ تم اكتشافها في ضوْء معْطيات العلوم التجْريبية ، إذًا فكفى بهذا التطابق والانْسجام الكامل مع الحقائق الواقعية برهاناً قاطعاً على أن هذا القرآن كلام منزل من عند الله العزيز الحكيم.

غير أن حقيقةً ما، مهما كانت صادقةً واضحةً، لا تقع في نفس المرء موقع القبول إلاّ إذا

حاول فهْمها بجدّيةٍ وإخلاصٍ .. ومن ثم فكوْن القرآن خِلْواً من «الاختلاف الكثير» لا يظهر إلا لمن «يتدبر» القرآن ويتأمل في آياته .. وأما الشخص الذي لا يريد أن يأْخذ نفسه بتدبر القرآن، فإن باب الجدل العقيْم وإثارة الاعتراضات الفارغة على مضاميْنه لا يزال مفتوحاً له على مصْراعيْه، ما لم تأْت القيامة؛ فتطْوي بساط ظروف الامتحان الراهنة بما فيه !!

والمجْتمع الإسلامي الذي يكون أفْراده عارفين بأقْدار أنفسهم إلى حدٍ يعترفون معه بعدم كفاءتهم إزاء غيرهم، فيُسْندوْن كل الأمور والقضايا الاجتماعية إلى من هو أكثرهم كفاءةً وأهْليةً لها، ويوطّنون أنفسهم على التمسك بتوجيْهاته وإرْشاداته.. وإن عرفان الذات هو العامل الوحيْد الذي من شأْنه أن يجنب الفرد الانْدفاع وراء الشيطان في الحياة إذْ لوْ لم يعرف المرء نفسه حق المعرفة، فلا يلبث أن يتدخل في الشئوْن الخطيْرة بالرغم من عدم كفاءته؛ فيأتي على الأخضر واليابس، إلى جانب تدميره نفسه ، إن حاجة الفرْد إلى الصمت بشأْن الأمور الاجتماعية، تكون أشد من حاجته إلى الكلام ، وأنْ يأخذ المرء في التحدث إلى الآخرين بكل ما يسمع دون تروٍّ أوْ تحفظٍ، يعْني إعانة الشيطان ونصرته على إحداث الْبَلْبَلَة والاضطراب في المجْتمع .

﴿ فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾

أَشَدُّ بَأْساً: أعظم قوة وصولة.

وَأَشَدُّ تَنكِيلاً: أشد تعذيبا وعقابا .

كِفْلٌ مِّنْهَا: نصيب وحظ من وزرها .

مقِيتاً: مقتدرا أو حفيظا .

حَسِيباً: محاسبا أو مجازيا أو شهيدا .

ومن صور اعْتناق الدين أن يعْتنقه المرء وهو لا يزال جامداً على ما كان عليه قبله، دون أن يتناول حياته الحقيقية تغيرٍ جذري ملموسٍ .. اللهم إلا أن يتظاهر بإقامة بعض الشعائرَ الشكلية الخارجية ويزعم أن قد صار إنساناً متديناً !! ومثل هذا الدين لا يبعث أحداً على القلق والانْزعاج .. ومن أجل ذلك فلا يشعر الناس بمسيْس الحاجة إلى معرفته ومحاربته ..

وإذا عُرض الدين مع مقتضياته العملية، تلك التي تتطلب الكفاح والتضْحية؛ والتي تضطر المرء إلى تحطيْم حياته القائمة، وإعادة بنائها على قواعد وأسسٍ جديدةٍ، فإن الناس ينقسمون إزاء ذلك إلى طبقتيْن : طبقة معارضيْ الدعوة، وهؤلاء الذين يقوم تديّنهم على أساسٍ من المظاهر السطحية الرخيصة فهم يعارضون دين الكفاح والتضحية أعنف معارضةٍ، ذاك لأن اختيار دينٍ كهذا يكون عندهم بمثابة التخلي عن عروش السيادة العليا التى يحتلونها في ظل البنيان الاجتماعي التقليدي السائد .. وأما الطبقة الثانية فهي التى تكون فطرتها نابضةً بالحياة .. فلا تنظر إلى الأمور من منظور المصالح والمنافع، بل تنظر إليها نظرةً موضوعيةً مجردةً نزيهةً .. وإنها ما إن تقْتنع بكوْن أمرٍ ماّ حقاً وصواباً، حتى تتلقاه بالقبول الفوْري، لا يحول دون قبولها له بعد ذلك حائل .

وربما يتفاقم هذا الوضع، ويشتد الصراع لدرجة أن مجرد رفع الصوت لتأييْد الحق وحمايته يصير مرادفاً للجهاد وتكاليفه الباهظة .. وعلى العكس من ذلك فإن الذي يُخْرس لسانه عن المجاهرة بالحق، أو يتخذ موقف المعارضة والعناد إزاءه، يُقبل عليه الدهر كله، ويتقلب في أعْطاف العيْش الرغيْد !!

غير أن أهل الإيمان الصادقين في إيمانهم، مطالبون أن يحاولوا صيانة العلاقات الاجتماعية المتبادلَة من التأثر بهذا التفاوت الوضْعي الطارئ، والصراع المبدئي العقدي .. وألا يسلكوا مع معارضيْهم سلوكاً لا أخلاقيا؛ إذْ إن سلوك المسلم يجب أن يكون دوْماً سلوكاً إيجابياً، ولا ينبغي أن تنعكس عليه آثار رد الفعل السلبية ضد الآخرين .. وأما ما يتصل بجزاء شخصٍ ما

على أعماله، وتقرير مصيره النهائي، فهذا أمر موكول إلى الله عز وجل، وليس لنا أن نتدخل فيه !

وإذا كانت دعْوة الحق تمر بظروفٍ خطيرةٍ وفتراتٍ حالكةٍ مظلمةٍ، فلا يعود فيها لإبْقائها حيةً ومتحركةً سوى ضمانٍ واحدٍ ، وهو أن يكون الداعي مصمماً - على الحد الأدنى - وعلى أنه لن يتزحزح عن موقفه الدعوي ؛ سواءً وجد أحداً من الناس يؤيده ويشد أزره أو لم يجد! .. وإن تصميم الداعي المؤكد في مثل هذه الظروف يجعله أهلاً لنصرة الله.. ومن أمثلة ذلك ما حدث في غزوة بدر الصغرى ، التي حصلت بعد شهرٍ من معركة أحد .. وكانت المدينة - إذْ ذاك - يسودها الذعر والخوف، فلم يخرج مع رسول الله ﷺ إلا سبعون رجلاً وشملتْ هذه المسيرة الضئيلة العدد والعتاد نصرة من الله تمثلت في سيطرة الرعب على كفار مكة فلم يستطيعوا أن يخرجوا للمواجهة والقتال !.

إن من سنة الله الثابتة التي لا تتخلف ، أن يكسر شوكة الكفار الجاحدين ويفل حدّهم ، غير أن سنة الله هذه تتحقق عندما يكون حملة لواء الدين قد بادروا بالخروج لكسر شوكة أعداء الله ، رغم قلة عددهم وضآلة الأسباب المادية المتوافرة لديه .

﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَـٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَـٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَـٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ

﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَـٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾

أَرْكَسَهُم: نكسهم وردهم إلى حكم الكفر .

حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ: ضاقت وانقبضت .

السَّلَمَ: الاستسلام والانقياد .

أُرْكِسُوا فِيهَا: قلبوا في الفتنة أشنع قلب .

ثَقِفْتُمُوَهُمْ: وجدتموهم أو تمكنتم منهم .

وإن المرء حين يختار دين الله كمنهج عملي لحياته ، فإنه يمر بمراحل مختلفة يتم فيها اختباره وفحصه ، هل كان مخلصاً جاداً في قراره أم لا ؟ .. و«الهجرة» إحدى حلقات هذه المسلسلة .. وتعني أن يتقدم المرء نحو الله متخلياً عن منافع الدنيا ومصالحها العاجلة ، فيما إذا كانت تقف حجر عثرةٍ في سبيل الدين ، ولو اقتضت الضرورة أن يغادر أهله ودياره حفاظاً على دينه فلا يمتنع عن ذلك .. ولو تقدم المرء نحو الحق متخلياً عن كل مصالحه ومنافعه المادية في مثل هذا الموقف الخطير ، لكان قد عمّق علاقته القلبية بالحق وزادها توطداً ورسوخاً .. وعلى النقيض من ذلك فلو بقي المرء ملتصقاً بمنافعه ومصالحه المادية في مثل هذا الموقف ، لكان قد أوهن علاقته القلبية بالحق واتسعت الفجوة الفاصلة بينه وبينه .. والشخص الذي يسلك الطريق الأول يزداد صلاحية واستعداداً لتقبل الحق ؛ فهو يتقدم نحو الحق ويتقرب إليه بصورةٍ مستمرة .. وأما الشخص الذي يختار الطريق الثاني فلا تزال قابليته للحق في تناقص مستمرٍ ، حتى يؤول به الأمر نهائياً إلى حدٍ لا يعود لديه معه استعداد فعلي لقبول الحق !!

وعندما تفرض مقتضيات الدين الباهظة نفسها ، فالناس ينقسمون بإزائها إلى طوائف شتى ؛ فمن طائفة المخلصين الناصحين ، إلى طائفة المعارضين المعاندين ، وقد تكون هناك طائفة قريبة من الحق في ظاهر أمرها ، غير أنها بعيدة عنه كل البعد من حيث الباطن .. وفي مثل هذه الحالة لابد لأهل إيمان من اتخاذ مواقف وأنماطٍ سلوكية متناسبة للتعامل مع كل هذه الطوائف على اختلاف أحوالها،وتباين اتجاهاتها . فليكونوا أشداء مرهوبي الجانب لقطع دابر

الفتنة ، واستئصال مواطن الخطر ، ورحماء مؤطئي الأكناف بشأن الوفاء بالحقوق وتأدية الواجبات الأخلاقية نحو الآخرين ، وليتعاملوا مع الضعفاء معاملة الكرم والمسامحة ، ولتنعكس آثار سلوكهم على من دونهم بدلاً من أن يتأثروا بهم .. وإذا كان الله قد كفاهم قتال بعض الطوائف عن طريق تحييدها وإقعادها جانباً ؛ فلا هي لهم ولا عليهم ، فليس من السائغ أن يعلنوا الحرب على طائفة كهذه بدون لزوم.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾

إن أعظم حقٍ واجب على المسلم لأخيه المسلم أن يُراعي حرمة دمه ، ولا يتعدى عليه ، ولو أن مسلماً قتل مسلماً آخر ، لاقترف أكبر جريمة اجتماعية على الإطلاق ، وإن شخصاً حين يقتل شخصاً آخر فإنه يوجه إليه الضربة الأخيرة الممكنة ، ثم إنها لجريمة لا تبقى بعدها للمجرم أية صورة للتلافي والاستدراك ، ومن أجل ذلك كان جزاء القتل العمد الخلود في نار جهنم ، والذي يُقدم على قتل رجلٍ مسلم ، عالماً بإسلامه ، متعمداً لقتله ، يشتد غضب الله وسخطه عليه ، فيجعله ملعوناً مطروداً من رحمته ويُلقي به في جهنم خالداً فيها .

وأما القتل الخطأ فهو أهوْن وأخف وطأة ، فلوْ أن شخصاً قتل رجلاً مسلماً على وجه الخطأ ، ثم شعر بعد ذلك بخطئه ؛ فتوجه إلى الله ضارعاً مبتهلاً ؛ محاولاً تكفير جريمته وفق القاعدة الشرعية المقررة ، فمن المرجو أن الله سيعفو عنه ، ويغفر له ذنبه .

وبذل المال أو مواصلة الصيام لمدةٍ ملحوظةٍ من الزمن بعد الوقوع في الخطأ يعد بمثابة تعذيب النفس بالنفس ، وإذ يغلب على المرء إحساس شديد بأنه قد وقع في خطأٍ جسيمٍ،

فيريد أن يجري عليه إصلاحيةً على نفسه ، وقد أرشد الله هنا إلى ما يجب إلى المرء أن يفعله لإصلاح شأنه في مثل هذه الحالة .

وعلى أن الآيات الواردة هنا تضمنت الأحكام المتصلة بقضية القتل ، غير أن هناك جرائم اجتماعية أخرى ، ومن خلال الأحكام المذكورة أعلاه يمكننا أن نتبين مقتضى الشريعة بالنسبة إلى هذه الأمور الأخرى .

فليس من واجب المسلم ألا يحاول حرمان أخيه المسلم من نعمة الحياة فحسب ، بل ومن حق المسلم على المسلم الآخر كذلك ألا ينتهك عرضه ، ولا يطلب عورته ، ولا يخرجه من داره ، ولا يُحدث خللاً أو اضطرابًا في سير معيشته ، ولا ينتزع منه أشياء عليها مدار حياته كلها ، ولو أن شخصاً ارتكب فعلاً يصيب أخاه المسلم بضررٍ أو خسارة من هذا القبيل ، فعليه أن يحس بخطئه على الفور ، والشاهد على إحساسه بالخطأ أن يستغفر الله مخلصاً ، ويرفع إلى أخيه العوض عما أصابه من الضرر والخسارة ، وأما إذا تعمد المرء القيام بخطواتٍ وإجراءات عمليةٍ ، غايتها إلحاق الضرر والخسارة بأخيه وإحراجه والتضييق عليه ، فإن ذلك لجريمة مماثلة للقتل العمد ؛ مع تفاوتٍ نسبيٍ في الدرجة .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾

ضَرَبۡتُمۡ: سافرتم وذهبتم .

السَّلَٰمَ: الاستسلام أو تحية الإسلام .

عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا: الغنيمة وهي مال زائل .

أُوْلِي الضَّرَرِ: ارباب العذر من الجهاد .

لقد كانت القبائل المعارضة للإسلام في الجزيرة العربية ، تضم أفراداً مسلمين من داخلهم غير أنهم لم يكونوا قد انفصلوا بعد عن قبائلهم عبر الهجرة ، وفي أثناء إحدى الغزوات وقع رجل كهذا – المستخف بإسلامه – بأيدي المسلمين ، فسلّم عليهم إشعاراً لهم بأني أخوكم في الدين ، إلا أن بعض المسلمين المتحمسين لم يلبثوا أن قتلوه على الرغم من ذلك جاهلين إسلامه ، وإنما يسلّم عليه خوفاً من القتل وحرصاً على حياته ، .. فلا يحل أن يُرفع عليه السيف ، حتى ولا في أثناء الحرب ، وقد يتضح مدى خطر حياة إنسانٍ مسلمٍ من أن النبى ﷺ قال : ((لزوال الدنيا أهْون على الله من قتل امرئ مسلم)) (رواه الترمذى والنسائى) .

وإذْ يصر بعض الناس على معاقبة غيره ، رافضاً لما يظهره من إسلامه ، أو جاعلاً إياه غير جدير بالاعتبار ، فإنها تكون هناك بواعث مادية أو دنيوية بحتة هي التي تعمل دوْماً وراء هذا النوع من ((الحماس الإسلامى)) .

والمسلمون ، من الناحية العملية ، صنفان : الصنف الأول أناس يختارون الحياة الإسلامية في إطار الفرائض والواجبات ؛ أي أنهم يعبدون الله ، ويمارسون حياتهم العملية في حدود الحرام والحلال المرسومة ، دون أن يتجاوزوها إلى ما وراءها .. وأما الصنف الثاني ، فهم أناس يختارون الإسلام على مستوى الكفاح والتضحية .. أي أنهم لا يكتفون بإسلام أنفسهم فقط ، بل ويسعون جهدهم لإدخال الآخرين في دائرة الإسلام ، ويتحملون التبعات الباهظة في هذا الطريق عن طيب نفس .. إنهم يحفرون في جبهة الإسلام بأنفسهم وأموالهم كلها .. فلا يكون سعيهم قاصراً على الفرائض المحدودة وحدها ، بل ويخطون خطوة متقدمة ؛ فيقدمون وجودهم بأكمله تضحية للإسلام .

وهذا الصنفان كلاهما مخلص ، وكلاهما سينال حظه من الرحمة الإلهية .. غير أن الصنف الثاني يتميز عن الأول بصفةٍ أساسيةٍ .. بما بذلوا في سبيل الله بغير حساب ؛ لذا فإن الله سيكافئهم بغير حسابٍ ، وبما أنهم دمجوا أنفسهم في مشروع الله غير مبالين بالمصالح ، لذا فإن

الله سيتغمدهم بظلال رحمته دون مبالاة بشيء.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا
مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ
وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ
عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ
مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾

مُرَاغَماً: مهاجرا ومتحولا ينتقل إليه .

وتقتضي فطرة المؤمن وجود بيئة حرة تتوافر فيها فرص وإمكانات مفتوحة لإظهار شخصيته الإيمانية ، وإنمائها دونما خوفٍ ، وإذا ما حُرِم المؤمن من بيئة حرة كهذه فعليه أن يستبدلها بغيرها، وتلك هي الهجرة بعينها ، فإن الهجرة ، من حيث حقيقتها الجوهرية ، تعني إخراج المرء نفسه من مناخ غير ملائم وانتقاله إلى مناخ آخر ملائم .

وكذلك تقوم في بيئة ما دعوة الحق ، وتقتضي الضرورة عندئذ أن يقف جميع أهل الإيمان المتفرقين إلى جانبها، ويكرسوا كل طاقاتهم في سبيل خدمتها ونصرتها ، ويدعموها بأموالهم لكي تتمكن من البلوغ إلى أهدافها المنشودة ، ولكن أهل الإيمان لا يزالون في قوقعة مصالحهم ومنافعهم الذاتية ، فيهملون أمرها، ولا يخرجون من قوقعتهم تلك ، حتى ينضموا إلى مسيرة الحق فيكسبوها قوةً ومنعةً وقدرة على الاتساع والاستمرار .. ولو أنهم استكملوا آجالهم على وتيرتهم فسيصلون إلى الله ظالمين أنفسهم!!! وإنما يُستثنى من هذا الحكم أولئك الذين بلغ منهم العذر والعجز مبلغاً لا يجدون معه أية حيلة للخروج بأنفسهم ، ولا ينفتح لهم أي منفذٍ آخر من الخارج.

ربما يحسب المرء أن الدنيا بأكملها ضائقة عليه غير ملائمة له ، قياساً على ما أحيط به من

obeikandi.com

ظروف غير ملائمة في بيئته .. إلا أن دنيا الله الواسعة تحمل على ظهرها أصنافاً شتى من البشر .. فإذا أوجدت هنا ((مكة)) حيث يُرمى الداعي بالحجر ، فها هنا توجد ((يثرب)) ؛ حيث يُرحب بالداعي ترحيباً حاراً .. إذًا فينبغي للمرء أن يتبنى مبدأ تغيير البيئة بدلاً من التفاهم مع البيئة الفاسدة ؛ إذ من الممكن جداً أن يصير اتخاذه موضعاً جديداً ميداناً لنشاطه ، مؤدياً في نهاية المطاف إلى فتح إمكانات جديدةٍ هائلة لم تكن في الحسبان من قبل.

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن
يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ
لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن
وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ
وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم
مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا
﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا
ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا
تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ
وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

يَفْتِنَكُمْ: ينالكم بمكروه .

حِذْرَهُمْ: احترازهم من عدوهم .

تَغْفُلُونَ: تسهون .

كِتَاباً مَّوْقُوتاً: مكتوبا محدود الأوقات مقدرا .

obeikandi.com

وَلَا تَهِنُوا: لا تضعفوا ولا تتوانوا .

إن المقصود بالنهائي من كل الأعمال التي يشتمل عليها الدين ويؤكد عليها ، هو ذكر الله ، فجميع هذه الأعمال تهدف أساساً إلى إعداد إنسان يكون الله مستقراً في ذاكرته وأعماق قلبه ويصير معه كل منعطفٍ من منعطفات الحياة باعثاً على تذكيره بالله ، وتحريك مشاعره نحوه تعالى ، فساعة الخوف والخطر تبعثه على خشية الله ، وساعة الأمل والرجاء تُلْهب شوقه وحنينه إلى لقاء الله . وتكون ثقته بالله وحده ، وتوجهاته كلها مرتكزةً على الله تعالى ، ويعتبر كل شيءٍ يظفر به فضلاً من الله ، وإذا حُرم من شيء علم أن ذلك نتيجةً لمشيئة الله العليا ، ويكون كيانه الداخلي كله مندمجاً في جلال الله وجماله .

ويتضح مدى أهمية ذكر الله من أن الصلاة لابد من تأديتها بأي شكل من الأشكال، حتى في مواطن الحرب البالغة الخطورة ، وذلك ليتم تذكير الإنسان وهو على حافة الموت ، بذلك المطلوب الأصلي الذي ينبغي للعبد أن يذهب به من هذه الدنيا إلى جنات ربه !

وعلى أن ثقة أهل الإيمان واعتمادهم يكون بكليته على الله وحده ، غير أنهم مأمورون بإعداد العدة الظاهرية اللازمة للتوقي من مباغتة العدو .. والسبب أن نصرة الله تعالى تنزل من خلال الأسباب الظاهرية ، فإن لم يكن أهل الإيمان قد قاموا بإعداد ما يمكن من عدة الوقاية والدفاع عن أنفسهم ، فكأنهم لم يبنوا ذلك الهيكل المادي الذي يشكل معبراً لانتقال نصرة الله إليهم .. وكل المصائب التي تواجه المؤمن في الحياة الدنيا ثمن لمشروع الله ، المقتضي بالضرورة إيجاد ظروف الابتلاء والامتحان حتى يتميز المستقيم الثابت على جادة الحق ، عن المنحرف المؤذي للآخرين بغير حقٍ .

وقد ينكشف الصراع بين الإسلام وغير الإسلام عن لحوق الهزيمة والخسائر الفادحة بأهل الإسلام، وانتصار أهل الباطل عليهم ، مما يجعل بعض الناس عندئذ يدب إلى نفوسهم دبيب الوهن وضعف الهمة ، غير أن أمثال هذه الحوادث والنكسات الفاجعة ، تكون بدورها منطوية على جانبٍ مهمٍ من المصلحة والحكمة الإلهية ، إنها تحدث لتزيد العبد المؤمن خشوعاً وانكساراً وإنابةً إلى الله ، فيصبح أهلاً للمزيد من العنايات الربانية .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾

خَصِيماً: مخاصما مدافعا عنهم .

يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ: يخونونها بارتكاب المعاصي .

يُبَيِّتُونَ: يدبرون بليل .

إن المشاركة في الحياة أو التعايش الجماعي من الحاجات الضرورية الأساسية للإنسان، فلا أحد يستطيع ممارسة الحياة في عزلة تامة ، وهذه الضرورة الحياتية هي التى تعمل على إنشاء طائفة أو أمةٍ معينةٍ ، فالإنسان ، من خلال انخراطه في الناس ، يضاعف ويضخم طاقته مئات الآلاف من المرات ، غير أن الشيء الذي ظهر إلى حيز الوجود كضرورة اجتماعية ، به يتحول إلى مذهب اجتماعى طائفي على مرّ الزمن ، ويصير بالتالى هو الهدف المطلوب لذاته عند الناس ، حيث ينشأ الاتجاه القائل : ((طائفتي : سواءً أكانت مصيبةً أم مخطئة ، أوْ أمتي : سواءً أكانت على الحق أم على الباطل)) .. ذلك الاتجاه الذي عبّر عنه الشاعر العربي القديم قائلاً :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويتُ ، وإن ترشدْ غزية أرشدِ!

وهذا الاتجاه ، حينما يغلب على طائفة ما ، يوحي بأنها قد أعطتْ مصالحها القومية، وتعصباتها الطائفية حيثية المقياس والمعيار ، بينما الموقف الصحيح أن يعطي المرء حيثية المعيار والمقياس للهدى الإلهي وحده ، ويحدد سلوكه العملي مع الآخرين على ضوء توجيهاته الرشيدة ، وليس على أساس المصالح الدنيوية والتعصبات الطائفية ، فلابد من أخذ المخطئ بالعنف والشدة ولو كان من أنفسنا ، ومن التعاون مع المصيب ، ولو كان من غير مجموعتنا ،

obeikandi.com

ويجب النظر في كل القضايا والخصومات بمنظار الحق وغير الحق ، والالتزام بالنزاهة في الحكم ، والوقوف إلى جانب الحق وصاحبه ، دون محاباةٍ ولا مجاملة ، ولا مبالاة بأي شيء آخر مهما يكن ؛ حتى ولو كان أحد الطرفين عدواً لنا ، والآخر قريباً من أقربائنا!

إن خذلانك للحق يعني خذلانك لنفسك .. فإن المرء حين يخون غيره ، فيكون خائنًا لنفسه ، ذاك لأن الله عز وجل قد نصب في صدر كل إنسان «ممثلاً» له ، وذلك الممثل الإلهي هو ضمير الإنسان ، فمتى يريد المرء مخالفة الحق ، يأخذ هذا الممثل للحق، الكامن في صدره ، في زجره وتأنيبه .. ولا يتمكن المرء من التخلي عن مقتضى الحق والعدل ، والاندفاع وراء الظلم والعدوان ، إلا بعد أن يتغاضى عن هذا النداء الداخلي!

ثم إن المرء حين يتعاون مع أحدٍ على الباطل ، فإنما يكون ذلك مراعاة للعلاقات الدنيوية والمصالح المادية المتبادلة ، التي تدفعه دفعاً لا يسعه معه إلا أن يساعد ذلك الشخص ويتعاون معه ، رغم كونه عارفاً كل المعرفة بأنه مبطل وليس على الحق .. غير أن مساعدة شخص ما ، رغم كونه مبطلاً مجانباً للحق ، تكون دائماً على حساب التخلي ، والابتعاد عن الله جل شأنه ، ففي الوقت الذي يعين المرء فيه شخصاً كهذا وينصره على باطلٍ في هذه الدنيا ، يكتب له الحرمان في الوقت بعينه ، من عون الله ونصرته في الدار الآخرة !

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ﴾

وَكِيلاً: حافظا ومحاميا من بأس الليل .

openkandil.com

بُهْتَاناً: كذبا فظيعا.

الدنيا مكان الابتلاء ، وهنا يُحتمل وقوع أحدٍ في الخطيئة - بالنسبة إلى حقوق الله ، وإلى حقوق العباد - .. وإذا وقع أحد الناس في خطيئة ، فالموقف الصحيح أن يندم المرء على خطيئته ويندفع نحو الله بمزيدٍ من التوجه والخشوع والإخلاص ، ويطلب منه تعالى أن يعفو عن خطيئته ، ويوفقه لفعل الخير والصلاح فيما يأتي .. ولو أن شخصاً التجأ إلى الله ، فإن الله يأخذه في أكنافه وحياطته ، ويتغمده بمدده وغفرانه .. وإن الله يوقظ حسه الديني ويذكيه ، فيؤهله لكيما يأخذ فى ممارسة الحياة الدنيا فى بقية عمره مع حذرٍ أشد وتنبه أكثر من ذى قبل .

وثمة موقف آخر ، وهو ألا يكون المرء مستعداً للاعتراف بالخطيئة بعد ارتكابها ، بل يأخذ في محاولة تبريرية لخطيئته ، ويبدأ بالتالي يتشاجر مع أولئك الذين ينتبهون إلى خطيئته ، اعتماداً على نصرة أصحابه وأعوانه .. وإن الذين يتمردون على خطيئتهم ، والذين يتعاونون معهم ، هم جميعاً من أكابر المجرمين المفسدين عند الله تعالى .. والكلمات أو التبريرات اللفظية المزعومة التي يستندون إليها لتستر خطيئتهم ، ستفقد معناها بكليته في الآخرة ، كما أن الأعوان الذين ما زالوا مبْعث غرورهم وطغيانهم في هذه الدنيا ، فإنهم سيعلمون آخر الأمر أنهم كانوا في غاية العجز ، ولم يكونوا مغنين عنهم شيئاً .

إن فضل الله العظيم في أن يفتح تعالى أبواب الهداية .. ويُلهم المرء الرغبة في الاعتراف بالخطيئة عقب وقوعها فيها ، والإقلاع عنْها دون اللجوء إلى تبريرها وتصويبها بلا أساس واقعي ، وأن يوفقه لاختيار أسلوب التواضع للتعامل مع الآخرين بدلاً من الترفع والاستعلاء عليهم استناداً إلى مساعدة الأعوان والأنصار .. وأن يسدد فكره ويقوّم سلوكه العملي ، فإذا سنحتْ له فرصة النيْل من أحد الناس واتخاذ الإجراءات السلبية ضده، فلا يفرح زاعماً أنه ناجح وسعيد !! بل يشعر من فوره بشناعة فعله وقُبْح صنيعه ؛ فيتوجه إلى الله ضارعاً، طالباً إياه تعالى أن يجنبه من أن يكون متعدياً على حقوق الآخرين.

﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾

وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

نَجْوَاهُمْ: ما يتناجى به الناس ويتحدثون .

يُشَاقِقِ الرَّسُولَ: يخالفه .

نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى: نخل بينه وبين ما اختاره لنفسه .

وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ: ندخله إياها فيشوى بها .

إن قيام الدعوة إلى الحق الخالص يعني تنصيب الميزان الإلهي على ظهر الأرض ، فيشعر كل شخصٍ بأنه يُوزن ويُقاس قدره الذاتي على ذلك الميزان بدقةٍ فائقةٍ للغاية .. فإن دعوة الحق تكشف القناع عن الوجه الحقيقي لكل شخصٍ ، من خلال تمزيق الأستار الظاهرية التي كان متلفعا بها .. وهذا الوضع يكون قاسياً وشديد الوطأة لدرجة أن الناس يصابون بقلق وانزعاجٍ بالغين ، وبالتالي تصير البيئة المحيطة بشخصية الداعي كلها نابية طافحة بالجفاء والعنف ، وكأنما يمشي على الجمرات بل على أحر منْها !!

فالذين يكشف ميزان دعوة الحق عن تفاهة شأنهم ، تستيقظ في نفوسهم مشاعر الكبر والعناد ، ومن ثم فلا يلبثون أن يندفعوا نحو الاتجاه المعاكس اندفاعة عمياء ، والشيء الذي يصبح أكبر هم يشغل بالهم هو الإجهاض على دعوة جاءت تثبت زيفهم وتُلغي اعتبارهم بوصْفهم أتباعاً للحق .. كما لا يعود لديهم وجه لاستخدام ألسنتهم سوى أن يلفقوا ضد الدعوة والداعي ما أمكنهم التلفيق ، وينشروا بين الناس أباطيل وشبهات تنفرهم من شخصية الداعي ورسالته .. وأن يدبروا خططاً ومكائد للنيل من الداعي وإفشال مسيرته ، وأن يمنعوا أصحاب الثراء والغني من تقديم المعونات المالية إليه ، وأن يبددوا شمل عباد الله الآخذين في توحيد كلمته معتصمين بحبل الله جميعاً ، من خلال الإيقاع بينهم ، وإفساد ظنونهم بعضهم بالبعض !

وعلى العكس ، فإن المحافظين على حياة فطرتهم وحيويتها وسلامتها ، يُكتب التوفيق

لكي يذعنوا للداعي ، وليشدوا من أزره ، ويناصروا رسالته ، ويبدؤوا بصياغة حياتهم العملية في قالبها .. وبالنسبة لهؤلاء تكون ألسنتهم أداة للاعتراف بالحق والصدق بكل صراحة وعلى رؤوس الأشهاد .. وسيلة لإعلام الناس بأن الدعوة عملية إلهية ، فقوموا ببذل أموالكم وأوقاتكم لتدعيمها وتقديمها إلى الأمام ، كما يرغّبون الناس في أن يكرسوا جهودهم وطاقاتهم في أعمال البر ووجوه الخير العام ، وأن يحاولوا جهدهم لنشر المعروف في المجتمع ، وإصلاح ذات بينهم وتوطيد علاقاتهم المتبادلة .. إلخ . .إن النتيجة الطبيعية للنفسية التي يبعثها الاعتراف بالحق في داخلهم أن يشتغلوا بهذا النوع من الأعمال الإيجابية الصالحة ..

إن معارضة الدعوة إلى الحق ، ومناصبة العداء للذين قد استجابوا لدعوة الحق وانضموا إلى أنصارها، لجريمة لا تغتفر عند الله تعالى .. إذْ إن الجرائم الأخرى يُحتمل اعتبار أكثرها ، إن لم تُعتبر كلها صادرةً من غفلة الإنسان أو ضعفه أو جهله .. غير أن معارضة دعوة الحق ترجع بكليتها إلى سببٍ واحدٍ لا غير وهو التمرد والعناد ، وهو ذنب من الشناعة بحيث لا يغفره الله لأحدٍ أبداً ، اللهم إلا أن يعترف بخطيئته ، ويُقلع عن التمرد والعناد ، ويقطع على نفسه عهداً ألا يعود إليه .

إن دعوة الدين الحق ، حينما تقوم في صورتها النقية الخالصة من كل الشوائب ، فإنها تكون عمليةً إلهية قد بدأت على أساس نصرةٍ من الله خاصةٍ ، إذًا ، فإن معارضة عمليةٍ هذا شأنها ، هي بمثابة القيام لمواجهة الله .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾

إِنَاثاً: أصناما يزينونها كالنساء .

شَيْطَاناً مَّرِيداً: متمردا متجردا من الخير .

مَّفْرُوضاً: مقطوعا لي به .

فَلَيُبَتِّكُنَّ: فليقطعن أو فليشقن .

خَلْقَ اللهِ: فطرة الله وهي دين الإسلام .

غُرُوراً: خداعًا وباطلا.

مَحِيصاً: محيدا ومهربا ومعدلا .

قِيلاً: قولا.

إن جذور عمل الشخص الذي يعتصم بالله الواحد الأحد ، تصير مرتبطةً بالحق سبحانه وتعالى.. ومع أنه قد يقع في خطايا وزلات وقتية إلا أنه يعود إلى صوابه بعد ذلك فيدرك الحظ الصحيح الأصيل .

وأما الشخص الذي يكون متعلقاً بشيء آخر دون الذات الإلهية ، هُو محروم من تلك الأرضية بالذات ، التي هي وحدها الأرضية الحقيقية الصلبة في هذا الكوْن كله .. وإن العمل الذي يمارسه هذا الشخص ، وإن كان يبدو في ظاهر الأمر صالحاً ، إلا أنه لا يكون منبثقاً عن مصدر الله ، بل يكون عملاً سطحياً عابراً لا يلبث أن ينكشف زيفه للعيان في إثر إصابته بصدمة خفيفة عادية جداً ، وذلك هو السبب في أن العمل المصحوب بعقيدة التوحيد يعطي ثماره اليانعة في الآخرة ، بينما العمل المصحوب بعقيدة الشرك لا يلبث أن يضيع ويتلاشى في هذه الدنيا نفسها ، دون أن يكون له أثر يمتد إلى العالم الآخر .

إن عدوّ الإنسان الحقيقي في هذه الدنيا هو الشيطان ، والذي هو في صراعٍ دائمٍ متصل معه

obeikandl.com

غير أن الشيطان ضعيف لا يملك أيما طاقة ، وإنما يمكنه فقط أن يخدع الإنسان بالوعود اللفظية ويورطه في فخّ الأماني المفترضة، وهكذا يبعد الناس عن الحق الأصيل .

والانحراف الذي يوقع فيه الشيطان أتباعه ، له صورتان خاصتان ، أوْلاهما تتمثل في عبادة الأوهام والخرافات الباطلة ، والثانية هي تغيير خلق الله .

وعبادة الأوهام والخرافات تعني أن يعقد الأمل على شيء كمصدر لنتائج لا تمت إلى ذلك الشيء بسبب مباشر ولا غير مباشرٍ ، كاعتبار شيء ما من دون الله عامةً مؤثراً في شئون الحياة وأحداثها بناءً على افتراضات مزعومة مثلاً.. على حين أنه لا أحد في هذه الدنيا غير الله يتمتع بأية قوة ذاتية مستقلةٍ ، أو كأنه يسخر أحدٌ حياته فعلاً في سبيل الحصول على حطام الدنيا ، ثم يرجو - بناءً على مجرد الأماني المفترضة -= أن نجاة الآخرة ستحصل له تلقائياً ، ولا عليه إذا لم يسع لها سعيها !!

وأما الطريق الثاني لإضلال الشيطان فهو يكمن في تغيير الخريطة التي رسمها الله عز وجل بنفسه .. فقد أوْدع الله في فطرة الإنسان بصورة جبلية الشعور بأن يركز اهتماماته وتوجهاته على الله تعالى وحده، وتغيير هذه الفطرة الإلهية يعني توجيه اهتمامات الإنسان إلى أشياء أخرى دون الله ، أو محاولة الوصول إلى غايةٍ بأسلوب اصطناعي آخر بدلاً من الأسلوب الفطري المقرر لإحرازها ، فتغيير الفطرة إذًا هو ألاّ يعيش الإنسان في الدنيا كما ينبغي له أن يعيش ، انسجاماً مع المنهج الإلهي المرسوم لهذا الكون ، بل يقلبها رأساً على عقبٍ ويعيش وفقاً لإغراءات الشيطان وأهواء النفس .

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾

obeikandl.com

قِيلاً: قولا.

نَقِيراً: قدر النقرة في ظهر النواة.

عندما ينساق المؤمنون بالله والآخرة وراء زخارف الدنيا وينغمسون في مباهجها ولذاتها، فإنهم لا يفعلون ذلك انسلاخاً عن إيمانهم بالله والآخرة، بل إنما هم يُلقون بقضية الآخرة في خانة المعتقدات الرسمية، ثم يُسخرون جهودهم ونشاطاتهم العملية كلها من أجل الحصول على الدنيا، إنهم يكونون غايةً في الجدية والإخلاص بالنسبة إلى إحراز المنافع الدنيوية ونيل العزة والشرف في الدنيا، ومن ثم فهم يرون استنفاد كل الجهود والطاقات أمراً ضرورياً لابد منه للوصول إلى تلك الأشياء، بينما يعتبرون مجرد الأماني الحالمة كافيةً في نيل السعادة الأخروية !!

فقد يزعمون أن شفاعة بعض الصالحين، والانتماء إلى مجموعة بشرية ذات خطرٍ وشأنٍ، وتكرار بعض الأوراد المقدسة، وما شاكل ذلك من التصورات والأعمال التافهة، يزعمون أنها ستنقذهم من نيران جهنم الحامية، وتدخلهم في حدائق الجنة ذات البهجة والنعيم !! غير أن أمثال هذه الأماني، مهما تم التعبير عنها بكلمات جميلةٍ رائعة، لن تغني عن أحدٍ فتيلاً، فإن معيار الله هو معيار محكمٍ دقيق للغاية حيث إن كل الأحكام والقرارات يتم إصدارها عنده تعالى بناءً على الحقائق وحدها، وليس بناءً على مجرد الأماني والآمال الكاذبة، وفي محكمة الله العادلة إنما ينظر إلى عمل الإنسان الذاتي فحسب وطبقاً لنوعية عمله هو سيقرر مصيره النهائي، فليس هنالك من شيء ما عدا قانون العدل الإلهي يمكن أن يكون أساساً لإصدار الأحكام وتحديد مصائر البشر.

ومَنْ هو ذلك العبد من عباد الله، الذي سوف يغمره الله بنفحات رحمته ؟! إن سيدنا إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – يمثل أنموذجا تاريخياً لذلك العبد .. وإنه هو وأمثاله عباد يعيشون في هذه الدنيا مؤمنين بالله صادقين في إيمانهم، والذين يتجهون بكليتهم نحو الله ربهم منقطعين عن كل الجهات الأخرى سواه، والذين تكون ولاءاتهم كلها خالصةً مخلصةً لله وحده، والذين يمارسون حياتهم العملية متواضعين، ملتزمين بمقتضى العدل في كل الشؤون والمعاملات الدنيوية المبادلة، بعيدين عن الظلم والجور والتعدي على حقوق الآخرين.

إن وجه الإنسان هو دليل وجوده وجوده بأكمله ، ومعنى إسلام الوجه لله أن يتوجه المرء بكل وجوده إلى الله تعالى ، مطيعاً لأوامره ، مجتنبًا لنواهيه .

إن الله هو مالك الكون كله ، وهو يملك القوى والطاقات بكل أنواعها ، غير أن الله سبحانه وتعالى قد ستر وجوده وراء الغيب ، ولا يظهره عياناً فى هذه الدنيا لحكمة أرادها ، وأيما فساد أو شر يتولد في هذه الدنيا ، إنما يرجع أصلاً إلى المرء الذى لا يرى الله ولا يشاهده مشاهدةً عينيةً ؛ الأمر الذي يجعله يحسب أنه حر طليق يفعل ما يشاء، ولكن لو أن المرء علم علم اليقين أن الإنسان عاجز كل العجز لا يمتلك أية قدرة أو اختيارًا مستقلاً ، يجرى عليه اليوم كل ما سيجري عليه في يوم القيامة.

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ فِي يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾

أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله: أخلص نفسه أو توجهه وعبادته لله .

حَنِيفاً: مائلا عن الباطل إلى الدين الحق .

بِالْقِسْطِ: بالعدل في الميراث والأموال .

بَعْلِهَا: زوجها .

نُشُوزاً: تجافيا عنها ظلما .

الشُّحَّ: البخل مع الحرص.

أَن تَعْدِلُوا: في المحبة وميل القلب والمؤانسة .

سَعَتِهِ: فضله وغناه ورزقه.

في معرض بيان الأحكام الشرعية المتصلة ببعض القضايا الاجتماعية ، تم التأكيد على معاني العدل والإحسان، والصلاح والتقوى .. إذْ إن أيّما قانون أو تشريع لا يحقق غايته المتوخاة إلا إذا كان القائم بتنفيذه رجلاً يخشى الله ، ويتحرى العدل والنصفة في واقع الأمر ، وأما إذا لم يكن الحال كذلك ؛ فإن الخير والصلاح الحقيقي لا يزال بعيد المنال رغم التنفيذ الظاهري لبنود القانون .

إن المجتمع لا يمكن إصلاحه على صعيد الواقع ، إلا إذا كان فاعل السوء يحذر من فعل السوء إحساساً برقابة الله المباشرة عليه ، وعلماً بأنه لن يتمكن أبدا من الإفلات من بطشه وعقابه بعد ارتكاب السيئة ، وإذا كان فاعل الخير يفعل الخير غير طامح أو متطلع إلى استحسان الناس أو مكافأتهم إياه على ذلك ، علماً بأن الله بصير بكل شيء ، وأنه تعالى سوف يجزيه على أحسن أعماله أوفر الجزاء .

إن مخافة النار تردع المرء عن ممارسة الظلم والعدوان ، بينما رجاء الجنة يحفظه على احتمال تلك الخسائر والمحن التي لابد من مواجهتها في طريق الحياة المستقيمة القائمة على الحق والعدل بصدرٍ رحيب .

إن الحرص هو العامل الرئيسي الذي يبعث دائماً على الاختلاف والتنازع بين الزوجين أو بين غيرهما من الناس.. حيث يرغب أحد الطرفين في استيفاء حقوقه ومطالبه هو بغير نظر إلى مطالب وحقوق الطرف الآخر ، وهذه العقلية الضيقة تجعل كلاً من الطرفين لا يطمئن نحو الآخر ، بينما المزاج الصحيح المطلوب هو أن يأخذ كل واحد من الطرفين أعذار الطرف الآخر بعين الاعتبار ، ويحاولا التوصل إلى تسوية معقولةٍ تتضمن رعاية المصالح المتبادلة بينهما .

obeikandi.com

وكما أن الله تعالى قد طالب الناس جميعاً بأن يراعي بعضهم بعضاً ، ويحسن بعضهم إلى بعض ، فإن الله كذلك يتفضل على عباده بالمراعاة والإحسان إليهم إلى حدٍ أقصى ما يكون ، ومن ثم فلا يؤاخذ الله المرء على ضعفه أو نقائصه الفطرية التي هو مجبول عليها ، بل إنما يؤاخذه على العناد والطغيان ، ذلك الذي يمارسه عن عمد وإرادة وإصرارٍ ، وإذا كان المرء يخشى الله ، وكان قلبه منطوياً على نوازع الخير والإصلاح ، فكل ما سيفعله بحسن نية سيُعتبر عند الله أهلاً للعفو والصفح.

هذا ، وبالإضافة إلى ذلك ، ينبغي للمرء ألا يقع أبدا في سوء فهمٍ عن نفسه فيظن أنه عليه مدار أمر غيره ، وهو القائم بتغطية حاجاته .. كلاً ، بل الله جل شأنه هو وحده المتكفل بقضاء الحاجات لكل أحدٍ ، سواءً أكان محاطاً ، في ظاهر أمره ، بظروفٍ وملابساتٍ من نوعٍ أو آخر.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾

وَكِيلاً: شهيدا أو دافعا ومجيرا أو قيما .

لا يوفق المرء لاختيار الحياة الصالحة الرشيدة – المطلوب اختيارها هي بالذات في هذه الدنيا – إلا إذا كان قد صار إنساناً ربانياً من داخله ، فالظفر بالله كخالق هذا الكون ومالكه ، والخوف من الله وحده ، وصدق التوكل عليه تعالى وحده كذلك ، وتركيز الاهتمام والتوجه كلياً على الآخرة ، باعتبارها الغاية والهدف الأصلي ، تلك هي الأشياء التي تؤهل أحد الناس لكيما يمارس في هذه الدنيا الحياة الصالحة المطلوبة عند الله تعالى ، والمؤصلة بصاحبها إلى النجاح والسعادة في عالم الآخرة ، ومن هنا ظل التأكيد في رسالات الأنبياء بأجمعهم ينصب دائماً على هذه المعاني والقيم ، أكثر من أي شيء آخر سواها.

ربما أن هذه الدنيا الحاضرة - التي نعيش فيها - هي موضع الابتلاء والتمحيص .. حيث تُجرى عملية الفحص والاختبار على كل الناس لكي يتميز الصالح منهم عن الطالح ؛ لذا فقد تم إيجاد الدنيا الحاضرة على نحوٍ يضمن للمرء حرية التصرف والممارسة لأي عمل شاء .. حتى إنه أتيحت له الفرصة لكيما يطلق على ((أسوده)) عنوان ((الأبيض)) . ويصف ((هدمه وتخريبه)) بوصف ((البناء والتعمير)) ويسمي تعطله وبطالته باسم العمل ، كما يمكن هنا أن يكون شخص غارقاً فعلاً في السيئات ، غير أنه يعبر عنها بألفاظٍ وعبارات جميلة رائعةٍ تريك وكأنها حسنات !! ومن الممكن هنا أن ينكر المرء حقا واضحاً مكشوفاً ، ويبحث - مع ذلك - عن تفسير جميل يبرر إنكاره لذلك الحق الصريح ، ومن الممكن هنا أن يكون حب الجاه العريض ، وطلب المحمدة والشهرة الواسعة ، واستجلاب المنافع المادية الوفيرة ، وتحقيق المصالح الذاتية ، مما يشكل محاور رئيسية تدور حولها حياة المرء العملية ، ولكنه - بالرغم من ذلك - يحالفه التوفيق لإقناع الآخرين - زيفاً وخداعاً - بأنه إنما ينشط ويكرس جهوده وطاقاته كلها من أجل الحق والحق وحده!! ومن الممكن هنا ألا يزال المرء مستمراً في ازدهار ورقي دائبين في الدنيا مع كونه قد اتخذ من دين الله وسيلةً للحصول على مآربه وأغراضه المادية الهابطة .. ومن الممكن هنا أن يتجاوز المرء دائرة الحلال والمباحات ، ويتكسب من الطرق المحرمة واللاشرعية ؛ وأن يتبنى سياسة الظلم والعدوان ، بدلاً من التقيد بمبدأ العدل والنصفة ، وهو - على ذلك كله - يبقى حراً طليقاً يسرح ويمرح دون مؤاخذة على تجاوزاته وتصرفاته المنحرفة أو وضع حدٍ لها على أقل تقدير !! في كل هذه المواقف الحياتية المختلفة يجد المرء ، نفسه أمام مفترق طريقين ؛ وبإمكانه أن يتجه إلى أيهما أحب ؛ أحدهما : طريق الحق والصدق والعدل، وأما الثاني : فهو طريق الباطل والظلم والعدوان!.

والحقيقة هي أن المهم ، بشأن الأحكام الدينية كلها ، هو ما إذا كان المرء يتقي الله ويخشاه حقاً أم لا؟ إذْ إن الخشية الإلهية إنما هي العامل الوحيد الذي يؤهله لممارسة حياة ملؤها الانضباط والشعور بالمسئولية .. وأما لو انعدمت خشية الله هذه ، فأي شيء سيمنع أحداً من الناس إذًا من الانسياق وراء الباطل في عالم يمكن فيه بيان الباطل هو الآخر بمصطلحات الحق ! وحيث الفرص متاحة لإحراز أرفع درجات الرقي ، واحتلال المناصب العليا ، والوصول إلى قمة المجد والشرف ، حتى عن طريق الظلم والتعدي هو الآخر!! وحيث من

السهولة بمكان أن يحصل كل ظالم على كلمات جميلة وعبارات شيقة رائعة لإخفاء ظلمه وتبرير عدوانه !!!

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾

أَن تَعْدِلُوا: كراهة العدول عن لحق.

تَلْوُوا: تحرفوا في الشهادة .

تُعْرِضُوا: تتركوا إقامتها رأسا .

من الظواهر التي يتكرر حدوثها مرةً بعد أخرى في الحياة الاجتماعية ، أن المرء يواجه قضيةً يمكن اتخاذ موقفين متقابلين منها ، أحدهما الموقف التابع لهوى النفس والمنفعة الذاتية ، والثاني هو موقف الحق والعدل ، فالغافلون عن الله ، والذين يعوزهم اليقين القائل بأن الله رقيب عليهم ، ناظر إليهم كل حين وآنٍ ، يندفعون في مثل هذه المناسبات وراء رغباتهم وأهوائهم ؛ إذْ إنهم يرون النجاح كله كامناً في عدم الاكتراث للحق ، وتسوية القضية على وجهٍ يتفق ومصالحهم ومنافعهم الذاتية .

وأما الذين يخشون الله ، والذين قد اتخذوا من الله حارساً ورقيباً عليهم ، فإنهم يركزون أنظارهم على جانب الحق وحده ، ولا يفعلون شيئاً سوى ما يتفق مع مقتضى الحق والعدل ، وإنهم يحاولون دائماً ألا يأتيهم الموت إلا وهم قائمون ملتزمون فعلاً بمبدأ القسط والعدل على الوجه الأكمل ، غير ظالمين أحداً من الناس أو معتدين على حقٍ من حقوقه المشروعة .

ويشتد ميْلهم إلى إقامة العدل إلى حدٍ يصير معه من المتعذر عليهم أن يتحملوا أو يصبروا على أي سلوك عدواني منحرفٍ عن خط العدل والنصفة ، ومن هنا فإذا ما رأوا شخصاً يظلم غيره ويهضم حقه فلا يسعهم إلا أن يتقدموا بإعلان الحق ونصرة صاحبه كائناً من كان ، وإنهم يشهدون بالحق دائماً ويقومون بإعلان العدل حتى ولو كان ذلك يمس مصالحهم

الذاتية ، أو باعثًا على ضرر يلحق بأهليهم وأقاربهم الأدنين .. فإن ألسنتهم ؛ إذْ تنطلق فإنما هي تنطلق من أجل الله ولابتغاء مرضاته وحده ، وليس من أجل أي شيء آخر سواه!

وإن المؤمن هو الذي يعامل كل أحدٍ معاملةً عادلة سواءً أكان ضعيفاً أم قوياً .. وأما المحاباة أو التحيز لبعض الناس دون بعضٍ فيما يتصل بدافع الحق إلى صاحبه ، نظراً لقوة أحد الخصوم وغناه أو لضعف الآخر وفقره ، فذلك مسلك مرفوض لا يتفق وشأن المؤمن الصادق والإيمان .

وعندما ينصر المرء الظالم على ظلمه ، فهو لا يفعل ذلك مدعياً على رؤوس الأشهاد أني أذهب لنصرة الظالم، بل يحاول إضفاء صبغة العدل على ما يقوم به من ظلمٍ وعدوانه، وفي مناسبة كهذه يسلك كل شخص أحد طريقين لا ثالث لهما : فإما أن يلجأ إلى تغيير الواقع أو بالأحرى تزوير الحقيقة بحيث إنه يدلي ببيانه عن نوعية القضية تحت النظر بكلماتٍ تُريك وكأنها ليست بقية الظلم والعدوان ، بل هي قضية كلها العدل والنصفة ، وبالتالي فإن الطرف الآخر المزعوم كونه مظلوماً معتدىً عليه هو جدير كل الجدارة بأن يُعامل هذه المعاملة بالذات !!

والطريق الثاني – للتعاون مع الظالم – هو اللياذ بالصمت والسكوت ، أي أن يتنكب المرء عن شهادة الحق وبيان الواقع كما هو ، رغم كونه عارفاً به عن كثبٍ ، ورغم كونه شاهد الظلم والعدوان يُمارس على أحدٍ علناً وجهاراً أمام عينيه ، وهذا نوع من السلوك ، إن دل على شيء فإنما يدل على أن المرء لا يحسب الله حارساً ورقيباً على نفسه!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ
وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ
ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ
لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ

أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩) ﴾

العِزَّةَ: المنعة والقوة والنصر .

مثل قوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ أن تقول :((يا أيها المسلمون أسلموا)) إن قول المرء عن نفسه بأنه مسلم أو اعتباره نفسه مسلماً ليس بكافٍ لكيما يتم اعتباره مسلماً عند الله عز وجل إذْ لا ولن يعتبر عند الله مسلماً إلا شخص يظفر بالله بحيث يصير هو بالذات موضع ثقته واعتماده ومصدر يقينه وطمأنينته ؛ والذي يؤمن بالرسول على نحوٍ يفقد معه كل توجيه من غير الرسول قيمته ومغزاه في نظره .. والذى يخلص فى إيمانه بالكتاب السماوى لدرجة أن تفكيره وعواطفه كلاهما ينصهر فى بوتقته وينطبع بطابعه ، والذي ينفذ الاعتقاد فى الملائكة إلى أعماق قلبه إلى حدٍ أخذ يشعر معه وكأنه ثمة حراساً إلهيين واقفون دوماً عن يمينه وعن شماله يرصدون كل حركاته وسكناته ، والذي يقر بالآخرة إقراراً صادقاً عميقاً يدفعه إلى أن يبدأ بقياس كل ما يصدر عنه من قولٍ وفعل بميزان الآخرة ... وإن الشخص الذي يؤمن على هذا النحو ، إنما هو وحده على ذلك الطريق القويم الذي يعتبر عند الله طريق الهداية الصحيحة ، المفضي بسالكه إلى النجاح والسعادة الأبدية ، وأما الشخص الذي لم يؤمن على هذا النحو، فهو إنسان ضال منحرف، مهما كان ظنه بنفسه أنه مؤمن ومسلم بأوسع وأعمق معاني الكلمة !!

وهذا الصراع بين الإيمان والكفر لا يزال جارياً دون انقطاعٍ في كل حين وفي كل طورٍ من أطوار حياة المرء العملية ، حيث إن المرء إذا ما واجه قضية من القضايا ، انعطف ذهنه تلقائياً في أحد اتجاهين: إما إلى الأهواء النفسانية ، وإما إلى الوفاء بمقتضيات الحق ، فلو أن المرء قام بتوجيه فكره وعواطفه نحو رغباته وأهواء نفسه ، وحدّد على وحي منها موقفه العملي بإزاء القضية المطروحة ، فكأنما انسلخ المؤمن عن إيمانه وكفر به، وعلى العكس من ذلك فلو أن المرء أخضع تفكيره ، وعواطفه للحق فكأنما آمن المؤمن أو جدد إيمانه ثانياً .

فالمرء يدخل في معترك الحياة الدنيا كمسلمٍ ، ثم هو يمر بعد ذلك بمرحلة يرى فيها الحق ماثلاً أمام عينيه، فمن الناس مَنْ يأخذ نفسه في مناسبة كهذه ، بالتواضع ، وبالتالي يعترف

بالحق ويُذعن له على الفور ، ومن الناس مَنْ تستيقظ في داخله نفسيات الكبر والعناد السلبية فيرفض الحق رفضاً باتاً، فالمشهد الأول هو مشهد الإيمان وتجديده.. والمشهد الثاني هو مشهد الكفر بالإيمان أو الانسلاخ عنه.

وإن الشخص الذي لا يكون مؤمناً صادقاً في إيمانه ، يكون - بالطبع - مولعاً بالوجاهة والعزة الدنيوية، ولذا فإنه لا يلبث أن يميل إلى الذين يتسبب انتسابه إليهم وموالاته إياهم في زيادة عزته وإعلاء منزلته بين الناس ، ولو كان أولئك على الباطل، بينما لا يعود لديه رغبة إلى موالاة أولئك الذين لا يزيده انتسابه إليهم عزةً وتوطد مكانةٍ وعلو منزلةٍ بين الناس ، ولو كان الأخيرون أصحاب الحق .

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾

يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ: ينتظرون بكم ما يحدث لكم .

فَتْحٌ: نصر وظفر وغنيمة .

أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ: ألم نغلبكم فأبقينا عليكم .

حينما تقوم الدعوة إلى الله في أية مجموعة بشرية ، فإنها تكون قائمة على دعائم راسخة متينة لا يمكن معها لأحدٍ أن يدحضها أو يعارضها بواسطة دليل معقولٍ ، ومن ثم فإن الذين لا يريدون الإيمان بها يلجؤون إلى سياسة الاستخفاف بشأنها ، بدلاً من مناقشتها بأسلوب علميٍ رزين بحثاً عن وجه الحق والصواب ، وذلك دين يوحي بأن أصحابه لا يأخذون أمر الحق على محمل الجد ، وإذا لم يكن المرء جاداً ، فإن الخوض معه في حوار أو نقاش لا يجدي

بشيء .. ولذا فإن الموقف الصحيح الذي يجدر بك أن تتخذه هو الإعراض عنهم واللياذ بالصمت ، حتى يتغير موضوع الحديث ، ويسود الجو هدوء يسمح لمخاطبيك بالإصغاء إلى ما تدلي به من حديث أو رأي ، وإن جلوس المرء في مجلس يستهزأ فيه بالدعوة إلى الله إنما يكشف عن عدم غيرة على الحق !

والمنافق لا يكترث بما ينبغي وما لا ينبغي له من حيث المبدأ ، بل يُقبل على ما يراه جالباً للمنفعة ، فيربط نفسه بمجموعةٍ تحقق مصالحه وطموحاته الدنيوية ، سواءً أكانت مجموعة المؤمنين أم غير المؤمنين ، وتجده في كل مجلس يغشاه لا يتحدث فيه إلى الحضور إلا بما يسرهم ويحلو لهم ، وأما لو اضطر يوماً إلى الانضمام إلى مسيرة أهل الإيمان الصادقين، بناءً على بعض المصالح ، فإنه لا يريد لهم الخير والنصيحة من صميم قلبه ، لأن وجود أهل الإيمان الصادقين في مجتمعٍ بمثابة مقياس أو معيار للحق والصدق، فيجعل المنافقين المتسترين وراء التدين الظاهري يودون أن تتحطم تلك المعايير التي تكشف القناع عن تدينهم الزائف المدخول ، غير أن المضمرين شراً لأهل الإيمان المتربصين بهم دوائر السوء ، مهما قاموا وقعدوا ، لا يستطيعون النيل منهم إلا في هذه الدنيا فحسب ، ولن يتمكنوا من أن يفعلوا شيئاً ضدهم في الدار الآخرة .

والمنافق هو الذي يتراءى بالتدين في ظاهر أمره ، ولكنه بعيد عن الدين كل البعد من الداخل ، وكون مصير المنافق والكافر مصيراً واحداً مماثلاً في حجمه ونوعه ، مما يدل دلالةً واضحةً على أنه لا فرق عند الله بين التدين السطحي الخارجي وبين اللادينية المكشوفة الصارخة ؛ ذاك لأن الاثنين ؛ مهما اختلفا على مستوى الشكل والظاهر ، إلا أن كليهما متحد كل الاتحاد على مستوى المضمون والباطن ، وإنما العبرة عند الله بالبواطن دون الأشكال والظواهر.

﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ

obeikandi.com

مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ
وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا
عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا
﴿١٤٧﴾ ﴾

مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ : مرددين بين الكفر والإيمان .

سُلْطَاناً مُّبِيناً: حجة ظاهرة في العذاب .

الدَّرْكِ الأَسْفَلِ: الطبق الذي في قعر جهنم .

إن الذين لا يسلمون أنفسهم إلى الله ، يكونون خاضعين مستسلمين لمنافعهم الدنيوية، ويوالون كل شخصٍ ترتبط به أية منفعة دنيوية ، سواءً أكان ذلك إنساناً متديناً أم غير متدين ، ومع أنهم يُظهرون الإسلام بألْسنتهم ، ويقومون بأداء بعض شكليات الأعمال الإسلامية ، غير أن عملهم لا يبتغي وجه الله تعالى ، بل لمجرد أن يحسبهم الناس ((مسلمين))، إذْ إن دينهم الأصلي الذي يؤمنون به من صميم قلوبهم هو الانتهازية والمنفعية ، إلا أنهم يحاولون التظاهر أمام الناس بمظهر العابدين المخلصين دينهم لله .

وإن أمثال هؤلاء ، باتخاذهم ذلك الموقف المزدوج ، كأنما يخادعون الله ، فيرغبون في ضم أنفسهم إلى زمرة الربانيين ، مع كونهم مقطوعي الصلة بالله ، ولا يرضون بالتخلي عن منافعهم المادية ، رغم معرفتهم بأن الإسلام هو الدين الحق ، مما يجعلهم يبقون حيارى مترددين بين عقيدتهم ومنافعهم ؛ فلا يستطيعون تركيز اهتمامهم على هذه ولا على هذه ، أولئك أناس محرومون من نصرة الله ؛ لأن النصرة الإلهية تستلزم الثبات والاستقامة على سبيل الله ، وهذا لا يتوفر لدى الانتهازيين النفعيين !

وعندما يكون المؤمنون بالحق والمنكرون للحق قد تم الفصل والتمييز الفعلي بينهما ، فإن التقدم بموالاة المنكرين للحق يعني أن نجعل لله حجة ضد أنفسنا ، فإن ذلك دليل بيِّن على استحقاق أحد الناس للعقوبة ، وإن هؤلاء ، ومن نحا نحوهم - يستطيعون الانفلات من

مؤاخذة الله وعقابه الشديد بناءً على أعمالهم التي كانوا يمارسونها رئاء الناس، فإنهم رغم تظاهرهم بمظهر الإسلام الشكلي، كانوا بعيدين عن الإسلام، لذا فإن مصيرهم سيتم تحديده وفقاً لحقيقتهم الداخلية، وليس وفقاً لظواهرهم الخارجية!

غير أن الله جل شأنه لا يصبح عدواً لأحد من أجل ضلاله وانحرافه عن الطريق السوي، فلو أن الضالين المنحرفين من الناس شعروا بالندم على سبق ذنوبهم، فغيّروا مجرى حياتهم للاتجاه الصحيح، وركزوا اهتماماتهم كلها على الله وحده، منصرفين عن كل الجهات الأخرى سواه، وأخذوا في السير على طريق الدين القويم بصدقٍ وإخلاص واستقامةٍ، فإن الله سيعفو عنهم ويغفر لهم ذنوبهم كلها.

﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا
﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ
نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا
﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ
مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾

جَهْرَةً: عياناً بالبصر.

الصَّاعِقَةُ: نار من السماء أو صيحة منها.

إن من أبغض الأمور إلى الله عز وجل أن يشهر بعيب أو فضيحة دينية أو دنيوية إذا كانت تُوجد في أحد الناس، ولكل إنسان الحق في إسداء النصح والموعظة لغيره، غير أن النصيحة

لابد وأن تكون في عزلة ، فلا يطلع عليها أحد سوى الناصح والمنصوح له أو أن تكون بأسلوب عمومي بدون التصريح باسم الشخص الموجه إليه الخطاب ، إن الله تبارك وتعالى لا يزال يتجاوز عن جرائم الناس وفضائحهم ليل نهار ، إذن فيجب على العباد أن يتحلّوْا بهذا الخلق الإلهي الكريم ، وأما إذا كان هناك شخص يمارس عليه الظلم والعدوان من أحدٍ ، فقد أرخص له أن يعدد أمام الناس مساوئ الظالم واعتداءاته ، ولكن المظلوم لو أخذ نفسه بالصبر ، وعفا عن الظالم ، لكان خيراً له؛ لأنه يُبين من خلال موقفه ذاك أنه أشد اهتماماً بخسارة الآخرة منه بخسارة الدنيا ؛ فإن الشخص الذي يُبتلى بحزن عظيم تتضاءل في نظره تلقائياً أحزان العادية الأخرى ، وهكذا يكون حال الشخص الذي استولى عليه الإحساس الشديد بأهوال يوم القيامة القادم الفظيع !!

ولقد كان أهل مكة يؤمنون بنبوة سيدنا إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – كما كان اليهود يصدقون بنبوة موسى ﷺ ، والنصارى مؤمنين بنبوة عيسى ﷺ ، غير أن هؤلاء جميعاً رفضوا الاعتراف بنبوة النبي العربي ﷺ ، فكل واحد من هؤلاء كان مستعداً للإيمان بأنبياء العهد الماضي ، إلا أنه لم يؤمن بنبى عصره ، فى حين أن جميع الأنبياء الذين آمنوا بهم فعلاً تعرضوا فى أزمانهم للمعارضة العنيفة ورد فعل مضاد ، تماماً كما قد تعرض لذلك النبى العربى فى زمانه !!

إن محاولة التفريق في الإيمان بين الرسل محاولة تهدف إلى اتخاذ طريق وسط بين اتباع الحق واتباع النفس، حتى يتمكن المرء من الوصول إلى الجنة ، من غير أن يصاب بنيان رغباته بالتحطم والانهيار ! ، وكل ما في الأمر أن نبوة العهد الماضي تكون نبوةً مسلم بها بلا نزاعٍ ، بينما الإيمان بنبي العصر يضْطر المرء إلى القيام بمسيرة فكرية جديدة .

إن نبوة العهد الماضي تتحول إلى جزء لا يتجزأ من ذهن المؤمن منذ ولادته ، ولكن نبي العصر يكون شخصاً متنازعاً فيه ، وهو لذلك لا يعدو في نظر معاصريه أن يكون مجرد «بشر» مثلهم ، ولذا فإن الإيمان به يتطلب حتماً أن يقوم المرء بمسيرة فكرية جديدة ، أو أن يُدرك أنّ الله ربه من جديد على مستوى الوعي والشعور، والتسليم بنبي العهد الماضي يعتمد على الإيمان التقليدي ، وأما التسليم بنبي العصر ، فيستمد عناصره من الإيمان الإرادي

الواعي، المطلوب عند الله تعالى الإيمان الإرادي ، وليس الإيمان التقليدي .

﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ ﴾

لاَ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ: لا تعتدوا باصطياد الحيتان فيه .

مِّيثَاقاً غَلِيظاً: عهدا وثيقا بطاعة الله .

إن رسول الله ﷺ إنسان كغيره من بني البشر ، وإنه إذْ يظهر أمام الناس ، فيظهر في صورة رجلٍ عادي ، مما يجعل الناس يتساءلون بدهشة واستغراب ، كيف يعترفون برجلٍ عادي كأحدٍ منهم باعتباره ((مندوباً إلهياً)) ، وكيف يوقنون بأن الشخص الذي جاء يتحدث إليهم مبعوث للتبليغ عن الله جل شأنه؟ ومن ثم يتوجهون إليه قائلين : إننا لن نؤمن بك إلا إذا رأينا كلامك ، هذا الذي تعرض علينا ، نازلاً من السماء ، أمام أعيننا ، أو ينزل الله من أجل تأييدك والتصديق بصحة نبوتك !!

غير أن مطالبةً من هذا النوع مطالبة غير جادة للغاية ؛ لأن امتحان الإنسان الأصلي في أن يؤمن بالغيب ، وأن يدرك الحقائق في شكلها المعنوي ، إذن فأية فائدة سترجى من وراء إيمانٍ يجبر عليه المرء بعد أن أتيحت له الفرصة لمشاهدة حقائق الغيب عياناً ؟! ثم إنه لو تم تغيير نظام الكون لفترة محدودة من الزمن، وأتيح للمرء أن يشاهد كل تلك الأشياء الغيبية التي طالب بإراءتها إياه ، لذهب ذلك سدىً ودون جدوى ، وذلك لأن فرصة المشاهدة العيانية تكون مؤقتةً وليست بدائمةٍ ، وأما حرية الإنسان التي تجرّه إلى البغي والعناد، فباقية ؛ الأمر الذي سيكشف عنه اندفاعه إلى الإيمان والتسليم عند المشاهدة ، ولكنه لا يلبث بعد ذلك حتى يعود إلى سيرته الأولى ، حيث سيأخذ ثانيةً في إساءة استخدام حريته كما كان يفعل من

قبل المشاهدة ، وأنموذج اليهود يمثل إثباتاً تاريخياً لهذه الحقيقة !

فقد شهد سفح جبل الطور ظروفاً غير عادية وأحداثاً خارقةً للعادة ، كان قد أوجدها الله تعالى إذْ أخذ من اليهود عهداً بأن يدخلوا الباب ، وأن يعبدوا الله بخشوعٍ وإخلاص ، وأن تكون كل جهودهم من أجل كسب المعاش منحصرةً في دائرة الحدود الإلهية المرسومة ، دون أن تتجاوزها إلى ما ورائها ، ولكن اليهود لم يلبثوا أن نقضوا كل العهود والمواثيق من هذا النوع ، ولم يلتزموا بأي واحدٍ منها .

وقوله: ((وآتينا موسى سلطاناً مبيناً)) يشير إلى سنة إلهية تشتمل كل أنبياء الله ورسله بدون استثناء، فالرسول رغم كونه رجلاً عادياً إلا أن كلامه وأحوال حياته يتضمنان أدلة واضحة صارخة تبرهن على حيثيته واعتباره الإلهي بصورة لا تقبل الجدال، غير أن الإنسان الظلوم لا يلبث أن يصل إلى تفسير مزعومٍ لكل آية إلهية،يسمح له برفضها رفضاً باتاً،وبالتالي الاستمرار في ممارسة حياة البغي والطغيان كسابق عادته .

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾

قُلُوبُنَا غُلْفٌ: مغشاة بأغطية خلقية فلا تعي .

طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا: ختم عليها فحجبها عن العلم .

بُهْتَاناً عَظِيماً: كذبا وباطلا فاحشا.

شُبِّهَ لَهُمْ: ألقى على المقتول شبه عيسى .

والهداية السماوية التي أنزلت على اليهود فحواها أنهم لو اتبعوا مرضاة الله في الحياة الدنيا ، فسوف يعطيهم الله الجنة في الآخرة ، ولكنهم لم يلبثوا أن نسوا الجزء الأول من هذه الهداية ، بينما اعتبروا الجزء الثاني منها حقاً طبيعياً لهم ، وبعبارة أخرى ظنوا أنفسهم مستحقين للثمار والنتائج بدون تحمل للمتاعب ولا اعتبار للمقدمات !!

ومع أن اليهود ، على امتداد تاريخهم الطويل ، أصيبوا بكل أنواع الفساد والانحراف، إلا أن يقينهم القائل بحتمية نجاتهم مازال قوياً راسخاً ، وزعموا أنهم في غنىً عن كل هداية سماوية ، فلم يعودوا بحاجة إلى الإيمان بأي نبي جديد!!

وقالوا على سبل التهكم والسخرية : ((قلوبنا غلف)) ، أي في غلاف وغطاء ، ولم يكن قولهم ذاك إظهاراً لعدم استعدادهم الداخلي للإيمان بالرسول ، بل إظهارًا وتأكيدًا على قناعتهم بأن نجاتهم حتمية لا يتطرق إليها الشك ، مهما كان سلوكهم وأسلوب تعاملهم مع الرسول!!

ومثل هذه القناعة الزائفة تجعل أصحابها يجترئون على ارتكاب كل أنواع الجرائم بلا وازع ولا شعور بوخز الضمير ، فلا يصعب عليهم أن ينقضوا الميثاق الإلهي الذي يترتب على الإيمان بالله ، ويقتضي الالتزام والوفاء العملي به ، كما يرفضون الاعتراف بآيات الله رغم كونها واضحةً وضوح الشمس ، لا يتحرجون من اتخاذ الخطوات العدوانية ضد الدعاة إلى الحق ، الذين يرفعون القناع عن وجوههم الحقيقية، وينتقدون حياتهم المنحرفة عن خط العبودية الإلهية، ولا يتورعون عن إهانة الداعي وتشويه سمعته من خلال إلصاق التهم الكاذبة به !!

وقد أقدم اليهود على قتل سيدنا المسيح – عليه الصلاة والسلام – ، ثم قالوا بعد ذلك في نشوةٍ من الزهور والتبجح بالباطل : ((لقد قتلنا المسيح عيسى ابن مريم ، هذا الذي كان يدعي أنه رسول الله)) غير أن أمثال هؤلاء ، مهما دبّروا ضد الدعاة إلى الله من مؤامرات شيطانية ، لن يكتب لها النجاح أبداً ، فإن قوة الله ونظامه الكوني الحكيم يكونان دوماً وراء دعاة الحق ؛ مما يتيح لهم فرصة الاستمرار في أداء واجبهم ، واستكمال مسيرتهم رغم كل المؤامرات والمعاكسات التي يمارسها أعداؤهم .

والذين يقفون من الحق موقف العناد والاستكبار ، يسلبهم الله تعالى الاستعداد لقبول الحق ، فلا يزالون يمارسون نشاطاتهم المعادية للحق وأصحابه ، إلى أن يقبض الملائكة أرواحهم كمجرمين ويحضروهم في محكمة الله للحساب الشديد !

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا (١٥٩) فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ۚ
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١) لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ
يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢) ۞ إِنَّآ
أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ
وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا (١٦٣) ﴾

وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ: وأمدح المقيمين لها .

وَالأَسْبَاطِ: أولاد يعقوب عليه السلام.

زَبُورًا: كتابا فيه مواعظ وحكم.

رُوِيَّ عن عكرمة أنه قال : ((لا يموت النصراني ولا اليهودي حتى يؤمن بمحمدٍ ﷺ)) (١).

لقد كان اليهود والنصارى حملة العلم السماوي ، مما لم يكن معه من المحتمل وقوع أمثالهم في الخطأ في إدراك أن دعوة النبي العربي ﷺ دعوة إلهية خالصة بلا ريب ، غير أن الإيمان بالنبي العربي وبذل المال والنفس دعماً لمسيرته ، كان يتعارض مع مصالحهم الدنيوية ، لذا فلم يلبث هؤلاء أن رفضوا التأييد والانضواء تحت لوائه .

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ، المجلد الأول ، ص٤٥٨.

obeikandi.com

ولكن المرء عندما ينفد عمره ، ويرى الموت ماثلاً أمام عينيه ، تغدو كل المصالح الهابطة من هذا النوع باطلة وغير ذات قيمةٍ أو أهمية تذكر في نظره .. وحينئذٍ تنزاح كل الأستار والأغطية الاصطناعية عن ذهنه ، ويتجلى الحق في صورته المجرة المكشوفة ، فيعترف المرء وهو على حافة الموت ، بالشيء الذى لم يكن مستعداً للاعتراف به قبل مواجهة الموت ، غير أن الاعتراف فى تلك اللحظة لا قيمة له عند الله تعالى .

وعندما تختار أية طائفة ديانةً مزعومةً مزيفة بدلاً من الدين الإلهى الحق ؛ فإنها تتخذ أيضاً بعض العلامات أو الشارات الاصطناعية للدلالة على اعتبارها الدينى ، ومن ذلك أنها تلجأ إلى وضع قواعد جديدة للحلال والحرام وفقاً لما يسمح به مزاجها وظروفها العملية ، وهي تريد من خلال اهتمامها بتلك القواعد الجديدة اهتماماً خصوصياً أن تثبت أنها أكثر تديناً من الآخرين سواها !! ، فالدين ، لدى أمثال هؤلاء، يكون عبارة عن الاهتمام ببعض الرسميات أو الأمور الشكلية ، دون الخضوع الكلي والطاعة المطلقة لله عزل وجل، ومن أجل ذلك فهم لا يحذرون من إحراز المكاسب الدنيوية بالوسائل الدنيئة التي حرمها الله تعالى، ولا من زرع العراقيل والعقبات فى طريق المسيرة الإلهية، وإن مصير أمثال هؤلاء الناس سيكون عند الله مع غير المتدينين وليس مع المتدينين !

وما آمن برسول الله ﷺ من اليهود ولاقام بنصرته وتأييده سوى أفراد معدودين مثل عبد الله بن سلام وجماعته ، والحقيقة هي أن العارفين بالدين السماوي الأصيل ، متجاوزون عن الإضافات البشرية المتراكمة عليه عبر العصور ، وهم متحررون من قيود العصبية ، والتقليد الأعمى ، والنزعة المادية النفعية البحتة ، لا يقف شيء أبداً دون تفهمهم للحق ، ولا تستخيرهم أنفسهم في سبيل خدمته ، فإنهم ينظرون إلى الحق ويتلقونه بالقبول بدون أي تحفظ ذهني ، وأولئك هم الذين سيدخلون في جنات الفردوس .

﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ

نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا
يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾

لقد خلق الله الإنسان ، ثم جعل الجنة والجحيم ، وأسكن الإنسان بعد ذلك على ظهر الأرض ، مانحاً له حرية الإرادة والتصرف .. غير أن حرية الإنسان هذه مؤقتة محدودة ، والغرْض منها هو الامتحان ، حتى يتم الفرز أو التمييز بين الصالح والطالح من بني آدم ، فالله تعالى ينظر مَنْ الذي يختار الاتجاه الواقعي في حياته ، فيتخذ من نفسه عبداً مطيعاً لله ، ومَنْ الذي يسيء استخدام حريته فيثبت أنه إنسان عنيد !!

وهذان الصنفان من البشر كلاهما مختلط في هذه الدنيا ، وكلاهما يتمتع هنا بفرصة الاستمتاع بنعم الله تعالى على حد سواء ، ولكن ما إن تنتهي فترة الامتحان المحددة حتى يتم الفصل بين كلا الصنفين ، ويتم - في النهاية - توطين الصنف الأول - الصالح - في حدائق الجنة بصفةٍ أبدية ، وإلقاء الصنف الأخير - الطالح - في نار جهنم .

إن مشروع الله المتصل بالحياة الدنيا هذا ، يشكل خطورةً كبيرةً للإنسان ، إذْ إن ذلك يعني أن مصير حياة الدنيا القصيرة المحدودة سيظهر في شكلين نهائيين لا ثالث لهما : إما سعادة أبدية ، وإما شقاوة أبدية ، ومن ثم فقد أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، علاوة على تهيئة أسباب فطرية أخرى لهداية البشرية وتوجيهها نحو طريق النجاح والسعادة ، حتى لا يبقى على الأرض أحد غير مطلعٍ على حقيقة الحياة وغايتها ، وبالتالي لا يتمكن في يوم الحساب من الاعتذار قائلاً بأنه لم يكن لديه أي إلمام بالمشروع الإلهي لكي يمارس حياته العملية طبقاً لمقتضياته ، والمهم اللازم لمشروع الله هذا ، أن تكون رسالة جميع الأنبياء والغاية الرئيسية التي بُعثوا من أجلها واحدة .. فلما كان البشر كلهم واقفين على محك لامتحان واحد ، فكيف يُحتمل إذن أن تختلف «ورقة الامتحان» لبعضهم عن البعض ، والحقيقة هي أن رسالة الأنبياء كافةً لم تكن إلا واحدةً على اختلاف الأعصار والأمصار ، وأنهم قاموا بإبلاغ نفس هذه الرسالة الواحدة إلى البشرية جمعاء ، والتي تتلخص في أن كل إنسان على مفترق طريقين لا ثالث لهما ، أحدهما يؤدي الجنة ، والآخر يؤدي إلى جهنم ، والمسئولية تقع على عاتقه هو أن

يتجه إلى أيهما شاء !!

لقد كانت دعوة الأنبياء والرسل قاطبةً دعوةً واحدةً، غير أن النصرة أو التأييد الإلهي كان يحصل لهم في صورٍ مختلفة باختلاف الظروف والحاجات الزمانية التي عاصرتهم، ولم تزل سنة الله هذه ثابتة اليوم تماماً، فالذين سينهضون اليوم للاضطلاع بالعمل النبوي المتمثل في الإنذار والتبشير، سيكتب لهم التوفيق والتأييد الإلهي الخصوصي، حسبما تقتضي الظروف والملابسات المحيطة بهم، لتمكينهم من الدأب والاستمرار في تأدية مسئولياتهم الدعوية على نحوٍ مؤثرٍ ومثمرٍ.

﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾

إن وضع اليهود، قبيل بعثة رسول الله ﷺ، كان وضع الممثلين للديانة السماوية، حيث إنهم كانوا متربعين على مراكز مناصب دينية عليا، مما جعلهم يستنكفون عن التسليم بالسيادة والعظمة لأحدٍ سواهم، وبالتالي فقد رفضوا الاعتراف بأن محمداً ﷺ مبعوث من عند الله عز وجل لإبلاغ رسالته إلى عباده أجمعين، وكانوا يقولون إننا «محتكر الدين»، لذا فإن رفضنا التسليم بالصدق الديني لأحد الناس يجعله غير مسلم به على صعيد الواقع هو الآخر، ولكن فاتهم أن هذا الكون هو كون الله، وأن شئونه يقوم بتنظيمها ملائكة الله الطائعون لأمره، إذن فإن التصديق الحقيقي بأحدٍ هنا هو الذي يكون من عند الله، والذي يؤيده نظام هذا الكون بأكمله، ولاشك أن الله وكوْنه كله مع رسوله وليس مع مزاعم باطلة لأحدٍ !

والذين يقابلون صوت الله بالإهمال والرفض له، ويمنعون الآخرين من مناصرته

والوقوف إلى جانبه ، إنما هم يكشفون عن أنهم قد ابتعدوا عن خط العبودية الصحيح المستقيم بمسافةٍ شاسعةٍ جداً ، وأنهم يقولون قولاً يكذبه الكون كله ، وأنهم يتصدون لمجابهة وعرقلة مشروعٍ يدعمه من ورائه رب السموات والأرض !! ومن البدهي أنه ليس هنالك حماقة أعظم من ذلك في هذه الدنيا.

إن أمثال هؤلاء الناس يمارسون أكبر عملٍ غير ديني باسم الدين ! والذين يستحبون لأنفسهم هذا النمط من السلوك الجائر المنحرف ، فإن أذهانهم تتجه تلقائياً صَوب الإنكار بدلاً من الاتجاه نحو الاعتراف مما يجعلهم يبتعدون يوماً فيوماً عن جادة الحق ، حتى ينتهي بهم المسير إلى هوة الهلاك الأبدى! وإن رفض الدعوة الإلهية هو رفض الله بذاته، فإنه عداوة الله تكون دائماً مصحوبة بدلائل واضحة قاطعة لدرجة أنه لا يصعب على أحدٍ فهمها إذا أراد ، إذن فالذين ينكرون دعوة الله على الرغم من ذلك كله ، فكأنما هم يتمردون على الله ، وإن التمرد والعناد هو أكبر جريمة عند الله جل جلاله ! ولو أن المرء كانت نوافذ قلبه مفتوحةً ، لوجد أن الصوت الإلهي هو إجابة عن طلبه الفطرى بعينيه ، ولأدرك أن الحق الذى كان مندمجاً تحت ركام هائل من التقولات والأوهام البشرية ، ها قد هيأ الله أسباب إعلانه بصورته النقية الخالصة ، فبعثة الرسول إذن هى إشعاع لعلم الله وحكمته ، وليست بقضية الاندفاع أو الحماس الذاتى لأحد الناس.

﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ

وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾

لاَ تَغْلُوا: لا تجاوزوا الحد ولا تفرطوا .

وَكَلِمَتُهُ: وجد بكلمة أم بلا أب ونطفة .

وَرُوحٌ مِّنهُ: ذو روح من أمر ربه .

لَن يَسْتَنكِفَ: لن يأنف ويترفع ويستكبر .

بُرْهَانٌ: هو محمد ﷺ .

نُوراً مُّبِيناً: هو القرآن العظيم.

من مواطن الضعف في الإنسان إذا وجد شيئاً يحمل نوعاً من الامتياز والتفوق من بعض نواحيه فلا يلبث أن يصوغ حوله تصوراً مبالغاً فيه ، ويتجاوز الحد في تعيين قدره ومنزلته .. وذلك هو الغُلوّ وما كل أنواع الشرك وعبادة الأبطال والشخصيات العظام في جورها إلا نتاجاً لنزعة الغلو هذه بالذات !

وأما الغلو في الدين ، فهو يعني محاولة تعظيم لشأن عنصرٍ ما من عناصر الدين من خلال رفعه فوق درجته الحقيقية في هيكل الدين .. وعلى سبيل المثال فإن الاعتقاد في عبدٍ من عباد الله أنه ((ابن لله)) ، نظراً لأن الله خلقه من غير واسطة أبٍ ، واعتبار شخصٍ ما فوق البشر ، ومعصوماً عن كل الأخطاء والنقائص البشرية ، إذا كان قد أعطاه الله أية منزلة كبيرة ، والمغالاة في التأكيد على ضرورة الاحتراز من زينة الدنيا وزخارفها ، إلى حدٍ يتحول معه الأمر إلى الرهبانية والانصراف الكلي عن ميدان الحياة ، وإحالة بعض الأحكام المتصلة بناحية من نواحي الحياة إلى فلسفة دينية مستقلة بذاتها ، من خلال المبالغة في التركيز عليها ، كل هذا وما شاكله سيندرج في قائمة الغلوّ .

إن جميع أنواع القدرة والطاقة لا يملكها إلا الله تعالى وحده ، وأما ما عداه ومَنْ عداه من بقية الكائنات ، فهو كله عاجز ومقهور ، والشيء الذي يقيض للإنسان أن يكتشفه عقب بلوغ وعيه إلى درجة النضج والكمال ، هو أن الله قادر مطلق ، وهو بإزائه تعالى عاجز مطلق ، وبما أن الملائكة والأنبياء يفوقون سائر المخلوقات سواهم في هذا الوعي ، لذا فإنهم يكونون

obeikandi.com

كذلك أسبق الخلائق وأسرعهم اعترافاً بعجز أنفسهم وبقدرة الله المطلق .

وفي هذا الاعتراف يكمن امتحان الإنسان الأصلي ، فإن مَنْ وُفِّق للإحساس بعجزه، فقد عرف نسبة ذاته من الذات الإلهية العليا ، ومَنْ لم يُوفق للإحساس بعجزه فقد ظل محروماً من إدراك نسبته من الذات الإلهية ، وأول هذين الشخصين هو البصير الذي يصل إلى منزله بنجاح واقتدار ، وأما الشخص الأخير فهو أعمى ، والذي لا ينتظر له مصير سوى أن يبقى تائهاً يتخبط في ظلام دامس ، إلى أن يقع آخر الأمر في هاوية سحيقة من الخزي والهوان الأبدي.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾ ﴾

الكَلالَة: الميت ، لا ولد له ولا والد .

إن صوت الله حين يرتفع بين مجموعةٍ من البشر ، فإنه يرتفع بشكل واضحٍ جلي يقضي على الظلام السائد ، وينير الحقائق الكامنة . كما وأنه يكون متسلحاً بأدلة وبراهين قاطعة لا تدحض ، بحيث إن الناس إذا كان بإمكانهم أن يستهزئوا به ويسخروا منه ، إلا أنهم لا يستطيعون نقضه وبطله بمنطق الدليل ، والله عز وجل هو الذي إذا أطلع الشمس لتميز النور والظلام تلقائياً أحدهما عن الآخر ، ونفس هذه القدرة الإلهية تتجلى في صوت الله هو الآخر ، حيث ينفصل الحق والباطل على إثر ارتفاع أحدهما عن الآخر على نحو لا يعود معه من المتعذر على ذي بصيرة أن يدرك ذلك بوضوح ، ولكن كما أنه لابد لرؤية الشمس من أن يفتح المرء عينيه ، فكذلك لابد لتلقي نور الهداية أن يركز المرء اهتمامه عليه، فالذي لا يعيره جانب اهتمامٍ لن يزال محروماً من الاستفادة من صوت الله رغم كونه مدويا فيما حول كله !

وعلاوة على ذلك ، فإن التمسك بالحق بقوة ، والعض عليه بالنواجذ هو أيضاً أمر ضروري بنفس الدرجة ، ذاك لأن هذه الدنيا الحاضرة هي موضع الابتلاء والامتحان ، وهنا لا يزال الشيطان يتعقب كل إنسان ، ويتحين فرصة إغوائه وتنفيره من الحق من خلال توريطه فى ألوان شتى من الخدع والأباطيل ، والترهات ، ولو أن المرء لم يصمم على مناصرة الحق مع توطين نفسه على مقاومته كل ما يوسوس به الشيطان في صدره ، فليس من الشك في أن الشيطان سيخطفه من وسط الطريق ولا يدعه يستكمل مسيرته .

بيد أن الإنسان ليس وحيداً منفرداً في عالم الابتلاء هذا ، فإن الذين يصممون على السير في سبيل الله بدأبٍ وإصرار فسيحصل له شعاع من التوجيه الإلهي في جميع المراحل والمنعطفات وسيصلون آخر الأمر إلى غايتهم المطلوبة بنصرة الله وفضله ، وإنه إذْ يبلغ اهتمام المرء بالحق مبلغاً بحيث يصير الحق وحده شغله الشاغل ويفقد معه كل شيءٍ آخر سواه له قيمته ومغزاه ، فإن الله يكتب له بعدئذٍ التوفيق للثبات والاستقامة على الحق الخالص ، والتجنب عن الانحراف نحو طرقٍ معوجةٍ أخرى.

وفي معرض بيان الأحكام المتعلقة بالتركة والميراث ، يتضح من قوله : ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ إن قضية الميراث ليست بقضيةٍ عادية ، بل إنها من جملة القضايا الخطيرة التي لو لم يلتزم المرء بتوجيهات الله وضوابطه المقررة بشأنها تمام الالتزام ، لوقع في خندق الضلال.

obeikandi.com